روايات عبير
مارغريت روم
قال الزهر: آه
www.liilas.com
٣٧

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية

CHATEAU OF FLOWERS

المراسلات:

Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ - رجل لا يطاق!

الحديقة مسترخية بفعل الحرارة الثقيلة للعشية. كل سنة في شهر أغسطس (آب)، الأزهار [illegible] بعطرها في انتظار [illegible] يطلق رجعها [illegible] [illegible] رتابة [illegible] ما لبثت أن انتهى.

توقفت لورا ميتارد لحظة عن تفحص البازلاء الموضوعة في وعاء أزرق على ركبتيها وراحت تتأمل النحلة. الحلوة تتأمل. سقطت في ملتحمها وأزاحت بيدها خصلة من شعرها كانت متهدلة على جبينها السلام: لكن من يرغب به؟ وتهيأ لها أن حياتها دائماً تتبع مسيرة هادئة. لا حزن، لا آمال محطمة، ولا مأساة. لا شيء عكّر حياتها الهادئة حتى ولا حدث ... ارتسمت على شفتيها ابتسامة صغيرة.

يا ترى، ما هي ردة فعل أبناء رعية والدها القسيس، لو عرفوا أن الفتاة الشابة التي يعتبرونها البنت البيتي لوالدها. الفتاة الهادئة والمتواضعة، التي أصبحت امرأة شابة مشرقة، الخالية من العقد، تحلم،

في الواقع أن تعيش حياة أكثر اضطراباً، وأن تعبر خارج حدود القرية الصغيرة القائمة في منطقة ساسكس، حيث أمضت كل سنوات طفولتها ومراهقتها، وتتعرف الى العالم الواسع!

تحركت والدتها في المقعد المجاور لها، وفتحت عينيها الناعستين، ورأت فلورا في ريبة قلقة:

«هل عاد والدك، يا حبيبتي؟»

ابتسمت فلورا. فالعاطفة العميقة التي يظهرها والداها تؤثر فيها باستمرار، وترسخ فيها الاطمئنان. إنها في سن ناضجة، لكن حبهما أقوى مما كان عليه في أيام الصبا، وما زال الاحمرار يداهم خدي والدتها عندما يمدحها زوجها، وبدوره كان والدها يحب أن يسمع من زوجته كلام المديح. إنه رجل رائع، وسكان قريتهما يعتبرونهما بنسيمهم الطيب. وكانت فلورا تعرف أن والديها زوجان لطيفان وربانيان، لا يريان الشر في أي مكان، حتى الذين يخطئون يلقون منهما كل مسامحة مطلوبة، ولا يجدون أي ادانة من قبلهما ما يمكن أن يفعلوه. وربما لذلك كان الاشخاص المتصلون بهما يخرجون من الرعية وعلى شفاههم ابتسامة بعرفان الجميل وثقة متجددة بطبيعتهم الانسانية.

ولذلك أيضاً كانت فلورا تشعر تجاه والديها بالقلق نفسه الذي تستوحيه من جمعية الكشاف التي ترأسها.

أجابت فلورا في لهجة حانية:

«يا أمي، لا داعي للقلق. صحيح أن والدي تأخر قليلاً. لكن لا تنسي أن اليوم موعد زيارته للمستشفى. وتعرفين جيداً مدى تعلقه بالمرضى، وخاصة الجدد لن يتأخر، أنا متأكدة من ذلك.»

نهضت فلورا وأعطت والدتها الرداء الأزرق المنسدل، بالبانلا،

ثم تمطت مطولاً لتبدد الخدر الذي أصاب مفاصلها من جراء جلستها الطويلة.

ثم قالت:

«إني أشعر بتحسن الآن. البطالة لا تناسبني، يا أمي.»

رفعت جين مينارد عينيها نحو ابنتها الرائعة وابتسمت لها. لقد أنعم عليها الخالق بابنة بعد زمن طويل من الانتظار وإصرار الاطباء أن لا أمل لها بالانجاب. لقد سمتها فلورا (أي زهرة) لأنها كانت تتمتع بجمال الأزهار المختلفة التي تنمو في هذه الحديقة الغنية. وبإعجاب أمومي، راحت جين تنظر الى ابنتها وتتأمل لون بشرتها الفاتح والخالي من أي عيوب، والناعم مثل ورق الزهر، وفمها الحساس الملون بلون الورد البري، وعينيها البنفسجيتين وشعرها الطويل الأشقر المنهدل على كتفيها النحيلتين كأمواج ثقيلة. لكن جسمها النحيل كان مليئاً بالصحة والعافية. وفوق كل شيء، كان مالكوم و جين مينارد متأكدين أن فلورا فتاة جميلة أيضاً في داخلها. كانت تلك طبيعة ناضجة وسخاء كبير، مما يجعل الجميع يحبونها. لكن هذا لا يمنعها من أن تبدو أحياناً فتاة عصرية، مسؤولة ومستعدة لتحمل كل أعباء أبناء القرية وهمومهم.

رفعت فلورا حاجبيها متسائلة. فأخفت والدتها الابتسامة التي كانت على وشك أن ترتسم على شفتيها. ثم نهضت لتتوجه الى المنزل:

«سأتركك لتغيري ملابسك، يا حبيبتي. سأعد طعام العشاء. وسيكون والدك قد عاد عندما يكون الطعام جاهزاً.»

هزت الفتاة رأسها وشبكت ذراعها بذراع والدتها، ودخلتا معاً الى المنزل.

وبعد ساعة، وصل القسيس مالكوم ميتارد فكان العشاء حاضراً وزوجته وابنته في انتظاره. لكن، ما أن دخل المنزل حتى أدركتا أن شيئاً ما على غير ما يرام. كان على جبينه الناتئ خط تجويف عميق، وبدا مكان لمعان عينيه الكالحتين رصانة عميقة. كان مالكوم ميتارد يتمتع بقلب واسع قادر على تحمل كل عذابات الناس الذين يلجأون إليه، لكنه كان يعمل جاهداً وباستمرار للمحافظة على روح التوازن بين عمله وراحته، كي لا يأتي يوم يسقط فيه تحت ثقل المسؤولية الضخمة المتراكمة عليه. ومع ذلك، هذه المرة يبدو مضطرباً.. إلى درجة أنه بدا عاجزاً عن إخفاء هذا الأمر.

سألته زوجته وهي تقترب منه:

«مالكوم ماذا جرى؟ ماذا حدث؟»

تجنبت فلورا طرح أي سؤال عليه. وفي مثل هذه الظروف كانت تعرف أنها آخر إنسان يمكنه أن يحقق لعائلته السعادة المنشودة. إنها تحبهما كثيراً وتعرف أنهما سوف يقلقان لو عرفا أنها لا يستمعان إلى رأيها في مثل هذه الظروف الحرجة.

هز مالكوم رأسه، وبدلاً من أن يتوجه إلى غرفة الطعام حيث العشاء في انتظاره، توجه إلى مكتبه وارتمى في مقعده الجلدي. ولما لحقت به زوجته وفلورا وجلستا في مواجهته، وهما قلقتان، راح يقول وهو يمر أصابعه في شعره الرمادي:

«أمضيت وقتاً شاقاً في المستشفى وخاصة في فترة ما بعد الغداء. والله يدري كم كان كبيراً عدد المرضى الذين زرتهم في المستشفى الملكي الجنوبي. ومعظمهم من العميان الذين فقدوا نظرهم ولا أمل لهم بالشفاء..»

ثم أضاف في صوت تخلله الشفقة قائلاً:

«ذلك الرجل الشاب يعيش في وحدة، أي وحدة! لا يسمح لأحد أن يقدم له التشجيع والغذاء. رفض كل عروض الصداقة، وحسب ما قال لي، إنه لا يثق بالجراحين ولا حتى بالكهنة»

انحنت نحو زوجته وربتت على يده وقالت:

«أخبرنا كل شيء منذ البداية، لا شك أنك ستشعر بتحسن بعد ذلك»

لكنه أجاب بحدة وبنبرة عنيفة:

«ليس المهم ما أشعر به أنا، يا جين. يجب أن أجد طريقة لأساعد هذا الشاب»

لزمت زوجته الصمت، وبعد تنهد عميق سمع نصيحتها وقال:

«عندما وصلت إلى المستشفى، كانت تنتظرني رسالة من سير فرانك هاملين، جراح العيون الشهير، ربما تتذكرين أني أخبرتك عنه فهو يرسل معظم مرضاه إلى المستشفى الملكي الجنوبي. وطلب مني سير فرانك في رسالته أن أراه قبل استئناف زياراتي العادية. وهذا ما فعلت بالضبط.

انحنت فلورا حتى يتسنى لها الاستماع بوضوح، لأن والدها يتكلم بصوت خفيض.

«طلب مني سير فرانك مساعدته في شأن مريض دخل المستشفى أخيراً. وهو شاب فرنسي، بينه وبين عائلة سير فرانك علاقة قوية العهد. والقصة التي أخبرني إياها مأساة حقيقية. منذ سنتين، فقد هذا الشاب الفرنسي نظره بواسطة مادة الأسيد. وحتى الآن، كان الأطباء الفرنسيون يعتقدون بأن هناك أملاً لشفائه لكنه أمل ضئيل، وبعد أن أجريت له ست عمليات من دون أي نتيجة تذكر استنجدت عائلته

بالسير «فرانك» الذي طلب نقله إلى «انكلترا» بالمستشفى الملكي الجنوبي لبعد الحادث كان المريض يأمل بإطالة ثقة عمياء، ولم يتذمر أبداً من الآلام، لأنه كان متأكداً، بعد كل عملية، أنه سوف يستعيد نظره. لكن، شيئاً فشيئاً، كان تفاؤله يخف إلى أن حلت مكانه المرارة. وأخيراً، بعد العملية الجراحية السادسة، رأى آماله تضمحل وأقسم ألا يدع أحداً يجري له عملية جراحية أخرى بعد الآن».

همست «جين ميناره» وهي على وشك البكاء:

«آه، يا له من رجل مسكين!»

قال القسيس:

«نعم. لا شك أنه يستحق الشفقة».

سألت «فلورا» برصانة:

«لكن، ماذا ينتظر سير «فرانك» منك، يا أبي؟»

«يريدني أن أساعد هذا الشاب حتى يستعيد شجاعته، يا حبيبتي. إلا سير «فرانك» متأكد تماماً أنه قادر على إجراء عملية جراحية ناجحة ويرغب بشدة القيام بالمحاولة. وتوسلت عائلة المريض إلى الشاب بقبول العملية الجراحية الأخيرة. لكن وضعه النفسي منهار وهذا ما يقلق سير «فرانك» الذي يصرّ على أنه لا جدوى من إجراء عملية جراحية لإنسان مصاب بانهيار نفسي مزمن. ولذلك طلب مني مساعدته. وهو بنفسه حاول، وعائلة المريض حاولت أيضاً.. لكن من دون جدوى. وإني أخشى أن يكون الجميع قد وضعوا آمالهم الأخيرة بي».

أحنى رأسه وكأنه استسلم لليأس، مما جعل زوجته تعترض قائلة:

«لكنك، يا حبيبي، قادر على مساعدته. أنا متأكدة من ذلك! كم مرة

رأيتك تشد من عزم اليائسين، وكم مرة جاءك أناس يشكرونك على مساعدتك لهم!»

هز القس رأسه وقال ببساطة:

«لقد حاولت، لكني فشلت. لم أر من قبل في حياتي حقداً بهذا العمق، واستخفافاً بهذه الدرجة، ولا مبالاة بهذا الغموض. ولمدة ساعة كاملة، حاولت أن أزحزحه عن رأيه، لكني لم أحصل منه سوى على ابتسامة صفراء باردة، من وقت إلى آخر، وعلى جواب سبق ولمحت له: «إني آسف، لكني لا أثق بالأطباء، ولا حتى بالكهنة».

ثم أضاف القس بحسرة:

«ولا يثق حتى بالإنسان نفسه. لقد أصبح هذا الرجل مثل إنسان آلي، لا حسّ فيه. ولديّ شعور أن هذا الشاب أصيب بجرح عميق، ليس فقط جسدياً، بل إن كل الأحاسيس في أعماقه ماتت».

خيّم صمت ثقيل، ثم قالت «جين ميناره» مليئة بالأمل:

«ربما «فلورا» تستطيع أن تفعل شيئاً...»

رفعت الفتاة وجهها بصورة مفاجئة وقالت:

«أنا؟ ماذا في استطاعتي أن أفعل؟ هل صحيح يا أبي، أبي...»

لكن، عندما استدارت نحو والدها، فوجئت لدى رؤيتها بريق أمل جديد في عينيه. وما لبث أن ابتسم قائلاً:

«صحيح! لماذا لم أفكر بذلك من قبل؟ هذا الأمر يستحق التجربة».

«لا، يا أبي، لست القادرة...»

وخلال العشاء، كانت «فلورا» تتخبط في أفكارها، وتشعر بالذعر لدى تخيلها لقاء هذا الرجل الذي وصفه لها والدها، والاستقبال الذي سينتظرها لذا اعتبر تدخلها نوعاً من الوقاحة. لكن، أمام اضطراب

والدها. انتهت بالاستسلام والخضوع لارادة أهلها. وفي المساء عندما دخلت غرفتها كانت قد وعدت والدها بأن تذهب في الغد لترى هذا الشاب القروي الثري المتطلب.

وبعد ظهر اليوم التالي، توجهت فلورا باكراً الى المستشفى. وهو اليوم المخصص لها لمساعدة الممرضات في المستشفى، ومهمتها أن تقرأ وتكتب الرسائل، والرد على الهاتف، ووضع لائحة بأسماء الاشياء التي لا يمكن الحصول عليها داخل المستشفى. وباختصار كانت تقوم بالمساعدة قدر الامكان. لكن في هذا اليوم بالذات، كانت تشعر بحاجة ماسة الى أن تتحدث مع انسان ما، قبل الاقتراب من المريض الذي وعدت أن تراه. وبعد تفكير طويل وجدت أن الانسان الوحيد الذي يمكنه أن يساعدها هي صديقتها الممرضة جينيفر داكرون، التي كانت تعمل في الجناح الذي من المفروض أن تتوجه اليه.

وجدت فلورا صديقتها في مكتبها الصغير، تحتسي فنجاناً من الشاي وهي تراجع التقارير الموضوعة أمامها على الطاولة. وعندما طرقت الباب مدت رأسها وسألت:

«جينيفر، هل تسمحين لي بدقيقة من وقتك؟»

أجابتها صديقتها بترحاب:

«ادخلي، يا فلورا، لقد جئت في الوقت المناسب! كنت على وشك الفراغ من رؤية تقارير المرضى الثلاثة وطريقة خطهم. يعتقد المرء أن كاتبها هو صبي، استعمل ريشة قديمة.»

اقترحت على صديقتها وهي تقدم لها كرسي لتجلس عليها:

«هل تريدين فنجاناً من الشاي؟»

أجابتها فلورا وهي تسقط في المقعد:

«كلا، شكراً، إن ما أريده هو نصيحة منك.»

وبعد أن ألقت جينيفر نظرة الى وجه فلورا المضطرب، صرخت بغيظ:

«هل من الضروري، يا فلورا، أن تهتمي دائماً بمشاكل المعذبين الذين تلتقينهم؟»

كانت فلورا على وشك الاحتجاج، لكن صديقتها رفعت يدها قائلة:

«آه، لا تحاولي الاجابة. أعرف، هذه المرة، الأمر يختلف.»

انحنت الى الامام واضافت:

«في كل مرة، الأمر يختلف. وفي كل مرة، النتيجة هي نفسها. ترهقين نفسك من أجل مريض لا يستحق مساعدتك. متى ستفكرين بنفسك؟ هذا ما أريد أن أعرفه.»

لكن محاضرة صديقتها لم تؤثر فيها. انها تعرف جينيفر تمام المعرفة. لأول وهلة تبدو الشابتان مختلفتين تماماً لتكونا صديقتين، لكن طبيعة فلورا الخجولة والمحافظة بحاجة الى حيوية جينيفر الواضحة.

أعلنت فلورا بحزم:

«لست هنا في صدد التكلم عن حالي.»

أجابتها جينيفر في صبر مستسلم:

«عظيم، قولي كل شيء، من يكون صاحب الموضوع، هذه المرة؟»

«هو مريضك الجديد. طلب مني والدي أن أراه لأرفع من معنوياته. وكنت آمل لو أن في استطاعتك اعطائي فكرة حول اهتماماته، لأني لا أعرف عن أي شيء سأحدثه.»

انتصبت جينيفر فجأة وصرخت:

«هل تلمحين إلى الكونت الفرنسي؟»

راحت فلورا تضحك:

«آه، أهكذا تسمينه؟»

تجاهلت جينيفر السؤال وتابعت كلامها بسرعة:

«يا عزيزتي، لقد حاولت كل ممرضات هذا القسم، أن تحدثنه لكنه شرس، غضوب، كئيب، رائع... كلنا لا نجد الصفة المناسبة إن نصفه. العاملون هنا يكرهونه، والبقية مغرمون به، لكننا جميعاً متفقون على نقطة واحدة: إنه رجل لا يطاق.»

شعرت فلورا بقلبها ينقبض إثر كلام رفيقتها فهذا نوعاً ما لم تنتظره. لكن ما قالته جينيفر جعل الرجل في صورة أكثر خطورة مما كانت تتصوره، فقالت في صوت واضح يعتريه تأنيب ناعم:

«إنه أعمى، يا جينيفر.»

اكفهر وجه صديقتها التي قالت:

«نعم، لكن معظم مرضى هذا القسم هم عميان أيضاً، ولا يتمتعون بالامتيازات نفسها. إن لديه جناحاً خاصاً وكل اهتمام وعناية سير فرانك. عاملين أن هذا الرجل رجل مذهل يا فلورا. لقد فقد بصره، لكنه لا يعاني من أي عاهة أخرى. لديه قدرة غريبة على التقاط الشفقة ورفضها في كبرياء. أرجوك يا فلورا، لا تعرضي إلى كلامه البذيء. أتركيه لمن هم أكثر الكفاءة والمناعة اللازمة ليتحملوه. لست جديرة بذلك.»

اصفر وجه فلورا ثم هزت رأسها:

«يجب علي أن أراه. لقد وعدت والدي بذلك. في أي وقت تسمحين أن

أزوره.»

رفعت جينيفر يديها في حركة يائسة:

«حسناً، ما دمت مصرة على ذلك، وأسفاه!»

وسرعان ما هدأت عندما رأت كتفي فلورا تنحنيان.

«اسمعي يا فلورا، هل نسيت بخزائنك الملابس في بقية الغرف؟»

أجابتها فلورا بالنفي.

«حسناً، عندما تنتهين من ذلك تعيين موعد الأكل. ويكون سير فرانك قد زار مرضيه وانتهى، وسأحاول أن أدعه يبقى لوحده مدة هكذا. عندما تذهبين لرؤيته، يكون قد سئم من وجوده وحيداً، ولعل استعداده بالتالي لاستقبال أي زائر كان، ما رأيك؟»

«أي زائر كان... إني أشكرك.»

نهضت فلورا محتضنة يديها وتوجهت نحو الباب، ولفتت ضحكات جينيفر ترن في أذنيها وهي تسير في الممر في خطى سريعة. ارتسمت على شفتيها ابتسامة سرعان ما زالت أمام فكرة التجربة التي تنتظرها بعد أقل من ساعتين.

٢ ـ من انت ايها السيد؟

وعندما اقترب موعد الزيارة الرهيبة، لم تعرف «فلورا» ما إذا كانت خائفة أو راضية. وخلال كل فترة ما بعد الظهر، وبينما كانت تكرس وقتها للاهتمام بالمرضى، كانت عيناها تنجذب صوب النافذة المحجوبة بالستائر والتي وراءها الرجل الذي وعدت نفسها بزيارته. كانت أفكارها مشوشة الى درجة أنها لم تكن قادرة على التركيز على المهمات الموكلة اليها. ومع ذلك تخلصت من هذه الورطة بنجاح.

راحت تسوّي شعرها بقبضة يدها وشعرت بذعر مفاجىء. وبجهده توجهت نحو باب الغرفة المعينة تصلّبت استعداداً للمعركة، ثم طرقت الباب طرقة خفيفة.

سمعت صوتاً آمراً وعنيفاً:

«ادخل!»

ثلاث خطوات سريعة أوصلتها الى وسط الغرفة، وللحال نظرت نحو السرير ووجدته فارغاً. حوّلت نظرها نحو النافذة التي تطلّ على حدائق

المستشفى، فرأت أمامها صورة رجل طويل القامة يرتدي مئزراً من الحرير الثقيل واللون الداكن. قفز قلب «فلورا» قبل أن يبدأ بالنبض بسرعة مؤلمة. وفي الحال انحفرت صورة الرجل في ذاكرتها. كان معادياً بكل ما في الكلمة من معنى. ليس غريباً أن يجعل قلب «فلورا» البريء في اتصالها الأول بهذا الرجل. إنه فارس يرتدي الملابس العصرية. كان وجهه أسمر وذقنه بارزة، وعليه علامة العناد والتعصب. وكانت نظرته كسيرة، وأنفه مستقيماً. راح يرتجف كأنه شعر بالاضطراب الشديد أو الطفل. لا ينقصه سوى أن يرتدي صدرية ذات لون فاتح ومئزراً متموجاً، وأن يحمل سيفاً تحيط له يطلق «دون كيشوت» زمانه. يعبر قطعان الغنم جيوشاً والطواحين الهوائية جبابرة. كان يظهر عليه بوضوح أنه يعتبر أي شعور ينمّ عن الصداقة تعريضاً وتحدياً، وأن الشفقة والعناية والاهتمام ما هي إلاّ تعزز اهانة.

قال بصوت نافذ الصبر:

«من أنت، وماذا تريدين؟»

شعرت «فلورا» بالرأفة تتملكها اذن تذكرها أنه أعمى وأجابت بصوت هادئ:

«أنا... أنا «فلورا ميتلارد» ابنة القسيس «مالكوم ميتلارد» الذي زارك أمس. هل تتذكره؟»

رفع رأسه متعالياً ومن غير أن يشيح وجهه عن النافذة، اجاب بالتهاب:

«أتعني أنك ابنة هذا الشيء المتطفل؟ لقد اعتقدت أني أفهمته بصورة واضحة أن وجوده غير ضروري. وأني أتساءل لماذا ارسل لي ابنته. ربما كان يريد منك أن ترافقيني في الحدائق، حتى استغني عن عكازتي

البيضاء أو ربما... آه، فهمت! يريد أن تعطيني طريقة. الرجل طريقة في الكتابة خاصة بالعميان تستخدم حروفاً نافرة! لا شك أن هذه مهمة تليق بابنة كافرو».

سخر منها ما فيه الكفاية، وكان في امكانها أن تغفر له ولا ترد بكلمة. لكن أن تسمعه يعامل والدها بهذه الطريقة، كان أكثر مما تحتمله. وبطريقة بدائية، كما النمرة تحمي صغارها، راحت فلورا تهاجمه قائلة:

«إني أرى أن طريقتك في المعاملة مع نفسك طريقة شنيعة ومقرفة، يا سيدي! إني لا استغرب من أنهم يتركونك لوحدك مع أفكارك المتحجرة وتعنتك الطفولي».

أطلقا انشغاله القاطع، في صمت رهيب لم يرد عليها. لكن بقبضة [illegible]

[illegible]

رجلاً بعض الكلمة. لتصلحها على الفور انتظرت فلورا، وهي ترتجف، خجولة ونادمة حتى من الركض نحو الباب. احمرت وجنتاها وبرعان ما بدت وجهها مظهراً عنيداً واستحياء وفي الوقت الذي شعرت به أنها لم تعد تحتمل هذا التوتر المستمر، استدار نحوها وجهاً لوجه، وبلطف غير معقول، اعتذر منها قائلاً:

«أنت على حق، يا آنسة. لقد أصبحت صعباً ولا أطاق. لست وحدك تفكرين بذلك. إني أفقد بسهولة ضبط النفس ولا أعرف ما هي الطريقة للتخلص من هذا الإحساس».

وتابع في لهجة عذبة:

«ولكن... هل يمكنك أن تساعديني...؟»

لا شك أنه لاحظ استغرابها المكبوت، فغيّر نبرة صوته مدخلاً بعض السخرية فيه:

«هيا، يا ابنة الكافرو، أين رأفتك واحساناتك؟ أنت تعرفين جيداً، أنك بسبب والدك، لن تتجرأي أن ترفضي هذا الاحسان. ماذا يقول، لو عرف أن ابنته رفضت مساعدة رجل بائس».

ارتسمت صورة وجه والدها الكئيب القلق فجأة أمام عينيها وتذكرت الرفض الذي كانت ستعطيه. لا شك أنه رجل ذكي، هذا الفرنسي، لأنه اكتشف، من دون أن يقع في الخطأ، الحجة التي يمكنها أن تؤثر بالفتاة لصالحه. لذا رفضت طلبه، تكون بذلك قد أذت والدها أكثر [illegible] من [illegible]

[illegible] في لهجة [illegible]

[illegible]

ركّز على صوتها وتكلم منها. يتوقف على بعد خطوة واحدة منها. نظره الذي لا يسمح لأحد أن يعرفه كان منصرفاً نحوها، محدقاً بوجهها، كأنه يدقق في قسماته حتى أنها شعرت بالاحمرار يجتاح خديها. وعندما لاحظت الندبات البيضاء الضيقة حول حاجبيه وعلى جبينه - دليل عملية جراحية حديثة - حينئذ أدركت بالتأكيد أنه لم يرها. فزال احمرار وجهها، لكن من الخجل هذه المرة.

قال بصوت قلق:

«لماذا اختاروا أنت بالذات؟ منذ الحادث الذي تعرضت له، كنت أنت الإنسانة الوحيدة التي تجرأت بكل صدق أن تبدي لي وجهاً لوجه كل

استدارت «فلورا» رغبة منها في اخفاء التجرح التي تتفجر على وجهها. من الأفضل أن تظل أمها ووالدها بجانبه ... لطيفاً في كل حال انه كذلك تجاهها. لكنها هي وحدها تعرف الأسرار القوية التي يصيبه عندما يكونان معاً. أصبحت هي صمام الأمان بالنسبة اليه، وكبش المحرقة. وأمام كل العاملين في المستشفى يبدو «آلان» مريضاً مثالياً. هي وحدها التي تتلقى كل الهجمات التي يرتطم فيه يأساً عنيفاً، الا يرى أن راحته الوحيدة في أن يصب جام غضبه على الآخرين. في البداية كانت ترد الضربة بضربة اخرى. لكن هذا التصرف من جانبها كان يزيد من غيظه، مما يجعلها تتنازل عن مقاومتها بالتحلي بالصمت حتى تنتهي الأزمة. لكن، أحياناً، كان يظهر لطفاً غريباً، مما يجعلها غير قادرة على أن ترفض له أي طلب. اكتشفت «فلورا» أنها تحبه.

ما زالت والدتها تنتظر منها جواباً. اقتربت «فلورا» منها وركعت امامها

«يا أمي، قال لي «بيير فرانك» إنه يأمل أن يجري العملية الجراحية لعيني «آلان» في الأسبوع المقبل. وبعدها لن يعود في حاجة اليّ. وحتى استعاد نظره، سيعود الى «فرنسا» وسينساني بسرعة».

انتفض قلبها انتفاضة مؤلمة، لكنها اضطرت الى متابعة الحديث:

«بعد أسابيع قليلة، تعود الحياة الى مجراها الطبيعي وسيتسنى لي الوقت لأرتاح. لكن، ما دام «آلان» في حاجة اليّ، عليّ أن أبقى معه. هل تفهمين؟»

ربتت والدتها على يدها وقالت:

«عظيم. لن أزيد كلمة واحدة. لكن تذكري أن سعادتك ثمينة لي

ولوالدك. وانا موافقان على كل شيء يؤمن سعادتك».

شدتها «فلورا» الى ذراعيها وقالت وهي تضحك:

«هل هناك من قرار يمكن أن أتخذه يؤثر على حياتي معكما؟»

اكتفت الوالدة بالابتسام ونهضت لتخرج من غرفة ابنتها. لكنها ظلت واثقة انها ستفكر مطولاً بما قالته.

وصلت سيارة «بيير فرانك» مبكرة. كان «آلان» في داخلها ومن خلال نافذة غرفتها المفتوحة سمعت «فلورا» والدتها تصر عليه بالنزول ويقول لها «فلورا» ستصل بعد لحظة وأجاب «آلان» بلهجته الانكليزية اللطيفة شيئاً لم تسمعه الفتاة. لأنها تناولت حقيبة يدها ونزلت مسرعة تريد أن تعرف ما اذا كان «آلان» في مزاج جيد أو أن عليها أن تتحمل ساعات طويلة من العذاب.

وما أن رأته حتى فهمت أن النزهة ستكون ممتعة. وحين سمعها تقترب منه ابتسم، وشعرت برغم نظارتيه السوداوين أن لا قلق في عينيه.

«سنلعب بفرع العصي

«هل انت حاضرة؟»

«نعم يا «آلان»

منذ اليوم الأول الذي دعاها لتناول طعام الغداء معه، أصر عليها أن تتخلى عن كل الأعراف والشكليات، واحتاجت الى أكثر من اسبوع لتعتاد أن تناديه «آلان» بدلاً من السيد «ريفيل».

«هيا بنا اذاً. اسرعي حتى لا تفوتنا الجولة الأولى».

كان الطقس جميلاً ورائعاً لمثل هذا النوع من النزهات، والجو حاراً. لكن النسيم منع الحرارة من أن تكون لاهبة. اختارا مكاناً هادئاً، لأن

الأسبوع المقبل»

أبعد يدها عنه بغضب واصطكت أسنانه المشوهة وراح يقول:
«يا إلهي! لا تراعي خواطري يا «لورا»! ماذا تقصدين من كل هذه العمليات الجراحية؟ ألا يكفي أني تحملت ستة محاولات فاشلة؟»

ثم أضاف بسخرية كأنه يقلد صوتاً آخر:
«لا تقلق، إن الندبات حول عيني تخف مع الأيام. لا تهمني الندبات. إنها لا تنفع لي شيء. كل ما أريده، هو أن أرى!»

انفجرت «لورا» في البكاء. فهي غير قادرة أن تتصور ما يمكنه أن يفعل إذا عرف أن لا أمل في شفائه وأنه سوف يبقى ضريراً طوال حياته.

كانت على وشك الانهيار. ظلت صامتة طوال الوقت، ومرة أخرى انطوى على نفسه. لا شيء تقوله يمكنه أن يخرجه من هذه الحالة الانطوائية. وراحت تتوسل كي تمر الأيام القليلة بسرعة. جسدياً، ما زالت قادرة على المقاومة. لكن كم يبقى من الوقت أمام عقلها ليتحمل كل هذا العذاب الذي اختارت أن تعانيه من أجل مساعدة «آلان ريشيل» في تحقيق أمنيته العزيزة؟

٣ ـ عرض مفاجيء

انتهت العملية الجراحية. وقبل دقائق قليلة، وصلت «جنيفر كلاكستون» إلى غرفة الانتظار لتبلغ «لورا» أنها في صدد إيصال «آلان» إلى غرفته وأن سير «فرانك» يرغب في التحدث إليها. كانت «لورا» فريسة أحاسيس داخلية مريرة: هل فشلت العملية؟ هل يريد سير «فرانك» منها أن تطلع «آلان» بنفسه على الخبر السيء؟

راحت تذرع أرض الغرفة بخطى واسعة ينخر قلبها القلق. وكانت الدقائق تمر وسير «فرانك» لم يظهر بعد. استمرت العملية ساعات عديدة، وخلال هذا الوقت كانت تنتظر آملة حدوث المعجزة. أما الآن فكانت تريد رؤية «آلان» والتأكد أنه لا يتألم.

انفتح الباب ودخل سير «فرانك» وعلى وجهه ملامح متعبة.
«آه، آنسة «[illegible]»، أشكرك لانتظارك! أريد أن أكلمك في شأن «آلان»»

انتظرت منه أن يجلس، فقرأت على وجهه التعب وعلامات القلق. يداها مشدودتان على ركبتيها، تنتظر ما سيقوله.

وما لبث أن أضاف بحدة:
«قمت بزراعة القرنية في العين اليمنى، وكنت أنوي في الأيام القليلة أن أباشر العمل في العين اليسرى. لا شك كنت تعرفين. وآلان يعرف ذلك أيضاً. أن العملية ستتم على مرحلتين».
هزت فلورا رأسها، ثم تابع سير فرانك كلامه:
«بعد أن أجريت العملية في العين اليمنى، فحصت اليسرى بدقة...»
ثم توقف عن الكلام وانتفضت فلورا وسألته:
«و...؟»
غرق في المقعد ثم قال:
«أخشى ألا يكون التشخيص مشجعاً...»
«هل تريد أن تقول أن آلان لن يستعيد نظره؟»
تردد وراح يبحث عن الكلمات التي تخفف الصدمة عليها:
«العين اليسرى مغلقة. لكني كنت متأكداً أنها ليست متضررة بشكل يتعذر معه معالجتها. أما اليوم، فقد اكتشفت أنها ملتهبة قليلاً، وعلي أولاً القضاء على الالتهاب قبل الاستمرار في المعالجة. هذا يعني تأخير المرحلة الثانية من العملية الجراحية. لهذا السبب طلبت أن أحدثك، يا ابنتي العزيزة. لقد حققت أعجوبة مع آلان في الأسابيع الماضية، وأريد أن أتأكد أنك ستظلين هنا ما دام هو في حاجة إليك، وأن تكوني في جانبه عندما أخبره كل هذه التفاصيل، وما أنوي فعله.»
كان صوت الجراح يخترق الضباب ويرن في أذنيها رنة حزن، وراحت تتصور ماذا سيكون آلان وتتساءل: هل من العدل أن يتحمل آلان عذاب سبع عمليات جراحية، ليصل في النهاية إلى نتيجة سلبية كهذه؟ ألم يكن من الأفضل لو تركه بدون أي أمل، بدلاً من أن

يفرض عليه هذا التوتر المستمر بين الأمل واليأس؟ شعرت بالغضب والأسف وراحت تهاجم سير فرانك:
«لماذا لا تتخلى عن كل هذا؟ لماذا تظل تقدم إليه الوعود، وأنت تعرف أن لا شيء يمكن فعله في هذا الصدد؟»
أجابها في هدوء:
«هناك دائماً شيء يمكن فعله، يا ابنتي العزيزة. لو لم نكن نتمسك بهذا اليقين، نحن الأطباء، لما أجرينا أية عملية جراحية. خيبة الأمل هذه تزعجني أنا أيضاً، وأرجوك أن تصدقيني. إنها فقط خيبة أمل... وأرجوك أن تساعدي آلان على تصديق ذلك. بعد ستة... أو ربما أقل، يمكنني أن أنهي العملية بنجاح هذه المرة. لكني في حاجة إليك لتقنعي آلان بأن لا يستسلم إلى اليأس. هل يمكنني الاتكال عليك؟»
«لن يصدقني لا الآن ولا في أي يوم. أنا متأكدة من ذلك.»
شعرت فلورا بأن كلامها أحرج سير فرانك، فسكت ثم قال:
«إذاً أطلب من الله أن يساعده ويساعد عائلته. والدته تعز علي كثيراً وكذلك كان والده، ولا شيء يفرحني سوى أن أتمكن من إعادة النظر إليه. لكن إذا كان ما تقولينه صحيحاً، فمن المستحيل أن أصل إلى هدفي.»
قالت فلورا والدموع تترقرق في عينيها:
«سأفعل كل ما في وسعي لإقناعه. لكن، أنا رجاءً، أرجوك، ألا تشعر بأنك مسؤول عن هذا في المستقبل، عندما يتغلب على خيبة أمله، ربما يقبل حينئذ أن يقوم بمحاولة جديدة.»
ربت على يدها وقال:
«أنت فتاة رائعة، يا فلورا. لم أعد أستغرب لماذا يشتد وجوده عن

استعادت فلورا هدوءها وقالت:

«لا يمكنني أن أكذب عليك يا الآن. ويجب أن تصدق كل ما سأقوله لك الآن. ما زال هناك خطأ في شفائك. كان سير فرانك يحاول أن يطمئنك، إنه في وسعه، بعد عدة شهور إنهاء الرحلة الثانية من العملية بنجاح أكيد. عليه فقط معالجة التهاب بسيط قبل أن يستأنف برنامج عمله في الرحلة الثانية. وبعدها كل شيء سيتم كما يجب. أرجوك، يا الآن، أن تسمعني. إني أتوسل إليك».

وكان جوابه بأن رفع يده الى عينيه، شاكاً، وخلع عنهما الشهادات ورماها أرضاً. ثم رفع رأسه في عزم رافضاً كل الضجيج بعد خيبة الأمل الثانية.

«أرجوك. لا أريد الخوض في هذا الحديث بعد الآن. لا أريد أن أسمع شيئاً من هذا الموضوع».

وخلال الأسابيع اللاحقة لم يقم سير فرانك و فلورا أي اعتبار لرغبة الآن بعدم السماح لأحد في استئناف الحديث حول مسألة مرضه. لكن الآن أصر على عناده وتصلبه، وربما يسترجع قواه تدريجياً ومع اقتراب موعد رحيله، فهم سير فرانك و فلورا أن عليهما أن يتقبلا قسوته. غير أن فلورا كانت تشعر بوجود أمل خفي بأن الآن سيغير رأيه، حين يضع نفسه من جديد في بيئته الخاصة. لأنه سيشعر انه في حاجة لرؤية كل الأشياء التي اعتاد رؤيتها قبل الحادث، فلن يتحمل الاعتماد على حواسه الأخرى.

وما سمح له سير فرانك باستئناف النزهات التي كان يقوم بها مع فلورا، عادت الحياة الى مجراها الطبيعي، وكانت فلورا تمضي كل أوقات بعد الظهر برفقته، لكنها لم تجرأ على التحدث اليه عن

امكان إجراء عملية جراحية أخرى، خوفاً من أن يجرحها بغضبه الذي يزداد مع تحسن صحته واستعادة قواه.

وخلال فترة النقاهة أصبح الآن بالنسبة الى فلورا زائراً عادياً، وربما وكلاهما يشعران تجاهه بمحبة عميقة. ومن جهته كان يبدو متحمساً برفقتهم. وخلال إحدى زياراته، وبينما كان جالساً في الحديقة برفقة فلورا، يستمتعان معاً بنعومة الطقس وبحيوية الهواء، فاجأها الآن سائلاً بلهجة عادية:

«فلورا، هل توافقين على الزواج مني؟»

كان ممدداً على كرسي طويل مريح، يمضغ عوداً من الحشيش الأخضر. لا شك أنه شعر باستغراب فلورا التي همست تقول:

«هل... هل قلت؟»

رفع رأسه في حركة متلهفة ورمى عود الحشيش وقال:

«أنا بحاجة اليك، يا فلورا لا يمكنني العودة الى فرنسا من دونك. أعطيني، على الأقل، فرصة التفكير في الموضوع».

راح قلب فلورا ينبض بسرعة فائقة، حتى أنه خيل اليها أن كل أعضاء جسمها ترتجف. إنها تحبه كثيراً الى درجة أنها مستعدة الآن لتضحي بحياتها من أجله. لكنه كان يظهر لا مبالاة عندما طلب منها أن تصبح زوجته. فتحت فمها لتقول له إنها تحبه كثيراً، لكنه تابع حديثه بهدوء:

«سيكون زواجنا زواج مصلحة. لا أكثر ولا أقل. لن أطلب منك أكثر مما تقدمين لي الآن، وما قدمته خلال الأسابيع الماضية. لقد أصبحت بصري الذي خسرته، وبفضلك أشعر وكأنني أرى من جديد كما أني أعتقد، أنك أنت أيضاً، سوف تحظين مكسباً من هذا الزواج».

ولما هدأت نيران كرامتها شعرت بسعادة مذهولة وبائسة لم يكن في وسعه رؤية مدى تأثير كلامه عليها. هذا الرجل الجاف والبارد للزواج منها كان بالنسبة إلى فلورا أقسى العذاب التي يمكنها أن تتحمله حتى الآن. ووجدت عزاءها الوحيد بأنها متأكدة تماماً من أنه يجهل حقيقة عواطفها. لم يتحرك. ظلّ رأسه منحنياً، كأنه يصغي، أو يحاول إدراك ردّ فعلها. وهي ظلت جامدة تنتظر هدوء توتر أفكارها وحتى تستعيد السيطرة على نفسها.

سألها فجأة:

«هل ما زلت هنا؟»

كانت كلماته تنمّ عن حاجته الملحّة إليها. وأرادت فلورا لطيبتها المتسامحة أن تنسى ما ينطوي عليه عرضه القاسي، لتحتفظ فقط ببدائه اللاواعي وطلبه مساعدتها. فأجابت وهي تحاول أن تتحدث في صوت هادئ:

«نعم، أنا ما زلت هنا.»

استرخى وارتسمت على شفتيه ابتسامة مغرورة ثم قال:

«هذا أفضل. كنت أخشى ألا تكوني سمعت ما قلت. إذاً، ما هو جوابك يا فلورا؟ هل تقبلين بالزواج مني والعودة معي إلى فرنسا؟»

أجابت في صوت خافض جداً:

«نعم.»

كبرت ابتسامته وقال وفي صوته بعض السخرية:

«شكراً. لقد كنت أتصوّر أن هذه الفكرة ستروقك.»

قامت فلورا بجهد كبير للمحافظة على برودة أعصابها، واستذكر مدى حزنه ووحدته وحتى خوفه العميق الذي لا يريد إظهاره. منذ

سنتين وهو يعيش أملاً في أن يستعيد بصره. والآن مات الأمل في داخله. ولكي يجابه المستقبل فهو في حاجة إلى مرشدة، إلى أحد يلهم حاجاته ولا يتطلب منه أي عاطفة أو شعور. ما تذكرت فلورا كلمات سير... قرأت له: «إني متأكد من أنك لما بقيت معه خلال الأشهر القليلة الصعبة، فسوف تنقذينه من هذه المحنة.» ربما فعلت تضحية كبرى، وربما يكون ذلك جنوناً تتحمل وحدها نتائجه. لكنه طلب منها مساعدته وحبها كبير إلى حدّ أنها عاجزة عن رفض ما طلبه منها.

رفع حاجبيه في سخرية وسألها في صوت فاتر:

«تعجبك إذاً فكرة أن تصبحي كونتيسة.»

التفتت نحوه في استغراب، لكنها تذكرت أنه لن يراها وتلعثمت وهي تقول:

«كونت... كونتيسة!»

قال وهو يضحك في استهزاء:

«هذا هو! هل تريدين الادعاء أنك تجهلين حقاً أنك سوف تصبحين كونتيسة بزواجك مني؟ ستأخذ والدتي لقب الكونتيسة بالتقاعد. ولا شك أنها ستكون سعيدة ومرتاحة لتنقل إليك التعب كله. وحسب ما أتذكر، قالت مرة إنها متعبة من مسؤولية تنظيم جميع الأمور في القصر ولا شك أن مجيئك سيجعلها تتمتع ببعض الراحة.»

شعرت فلورا بما يشبه الهلع يجتاح كيانها. قالت:

«لست أفهم شيئاً. أتريد أن تقول أنك أنت الكونت؟ الآن تقول وأنك تملك قصراً؟ إذا كان الأمر كذلك، فلا يمكنني قبول عرضك. إن فكرة أن أصبح كونتيسة ترعبني. أرجوك، قل إن كلامك مزحة...»

أنهتها في حدة وكبرياء.

«كلا. لست أمزح. إن لقبنا من أقدم الألقاب في فرنسا و قصر الزهور بناه أسلافي في القرن الثاني عشر»

تنهدت فلورا مرتعبة:

«لكن لماذا لم تقل لي ذلك من قبل؟»

سكت قليلاً قبل أن يجيب:

«كنت أعتقد أنك تعرفين جيداً من أنا. لم يكن ذلك سراً والجميع في المستشفى يعرفون من أكون وبعض الممرضات كن يتجرأن بوقاحة ويدعونني الكونت الذي لا يطاق»

تذكرت فلورا أنها سمعت من جينيفر تعبيراً بهذا المعنى، وفي ذلك الوقت اعتقدت أنهم لقبوه بالكونت بسبب تصرفه الوقح والمتعجرف، ولم تعرف إلا الآن بالذات أنه حقيقة كونت، بما في الكلمة من معنى.

عاد ألان ليقول بلهجة معبرة:

«إن والدك على علم بذلك، هو أيضاً. لقد أخبرته أني الكونت تريفيل، وذلك منذ أيام قليلة، عندما قررت أن أطلب يدك. كان يجب أن أبدو أمام عائلتك أنني قادر على الاعتناء بك كما يجب»

«لقد... الآن»

لم تستطع أن تمتنع من الابتسام أمام التعبير اللطيف. إن والدها لا يعلق أهمية على الفوائد المادية. وما يهمه أن يعرف من هوية الرجل الذي يرغب في الزواج من ابنته. هل هو يحبها، أم لا.

عرف ألان، الذي يتمتع بموهبة غريبة في إدراك ما تشعر به فلورا تماماً، إن الفتاة في حيرة، فقرر أن يغير الموضوع فقال:

«كفانا كلاماً في هذا الموضوع. لقد قبلت العرض ولن أدعك تغيرين

رأيك. يجب أن نعلم والديك بهذا القرار، ثم نهتم بالاجراءات اللازمة لهذا الزواج. إني أصر على الاحتفال به هنا في انكلترا، وهكذا يمكنني أن أصطحبك إلى قصر الزهور على أنك زوجتي، الكونتيسة تريفيل الجديدة»

شعرت فلورا بالشكوك تستيقظ في داخلها. وفي انزعاج عميق، رأته يرسم ابتسامة غير محببة، ابتسامة رجل اكتشف طريقة ليصفي حساباته القديمة. لقد وجدت قليلاً من الارتياح لدى طلبه الزواج منها لأنه في حاجة إليها. وإنها تتساءل الآن، من سيكون ضحية الانتقام الذي يحيكه ألان في قصر الزهور. شعرت بدمها يتجلد لمجرد التفكير أنه يستعملها كسلاح لينفذ مآربه. إنها تحبه، وسواء شاءت أم أبت، فهي ستظل تحبه. لكن هذا لا يمنعها من رؤية أخطائه بوضوح. إنه انسان قاس، حاقد، متغطرس، لا يشعر بأي انفعال. انه كل هذا. ولهذا السبب بالذات قبلت عرضه ألان. الكونت تريفيل يركض وراء خسارته، وهي تعرف أنها لن تتخلى عنه ما دام هناك حظ لتساعده على الشفاء واستعادة بصره!

٤ ـ ضحية الانتقام

بعد مرور ثلاثة أسابيع، تم زواج فلورا وآلان في الكنيسة الريفية الصغيرة التي شهدت طفولة فلورا. واجتمعت فيها بعض [illegible] بفستانها الأبيض الطويل [illegible] الزهور العطرة، [illegible] عادية متناسقة، وتحمل بين يديها كتاب [illegible] المغلف بالعاج. لكنها لاحظت أن الكنيسة كانت مزينة بمختلف أنواع الزهور العطرة ذات الألوان الزاهية، تشع على الأثاث المصنوع من خشب الجوز الداكن المصقول وهي تعرف جيداً أن والدتها هي التي قامت بتزيين الكنيسة. إنها مبادرة لتزوية حدة قرار آلان القاطع بالامتناع عن إقامة عرس احتفالي.

كانت فلورا شاكرة لوالديها لطفهما وجهدهما في إخفاء قلقهما العميق تجاه مستقبل ابنتهما الوحيدة.

لم تكن تحدث أي صوت وهي تتقدم متأبطة ذراع سير فرانك، لكنها رأت آلان يرفع رأسه كأنه سمعها تقترب، ويلتفت نحوها. كان يبدو مرتاحاً في الظاهر، مد يده وشبكها بيدها. أي إنسان، لا بد أن ينخدع لدى رؤية تصرفات آلان الرائقة. لكن فلورا رأت ارتعاشة عصبية في زوايا شفتيه تدل على أنه يحاول كبت غضبه. فلم تدع لتخليها عن الاحتفال والشمخ المألوف في مثل هذه المناسبات، من أجل إنقاذه من هذه المحنة الطويلة.

كان الاحتفال بسيطاً وقصيراً. ثم ذهب الجميع إلى القاعة الملحقة بالكنيسة لتناول الغداء. جينفر التي كانت تشاهد زواجها، مع سير فرانك، كانت الإنسانة الوحيدة التي أعربت عن فرحها وساعدت فرحتها على إضفاء جو البهجة على الاحتفال. ورغم توتر آلان، لاطفه أمام الحاضرين. لكن عندما حان الوقت للذهاب [illegible] تحت [illegible] لم [illegible] واحدة [illegible].

لم ترد فلورا إنها وحدها للمرة الأولى مع الرجل الذي وعدت، منذ ساعات قليلة، بأن تحبه، وتحترمه وتسعده. فجأة أحست بالذعر. حسبها المعنى الثقيل كان بمثابة سلسلة تربطها به مدى الحياة. كانت ترغب أن تسحبه من إصبعها وترميه من نافذة السيارة!

لا بد أن آلان شعر بعصبيتها وبحالتها النفسية، فراح يحدثها في هدوء ويقول بلطف:

ـ تقريباً نصبح في طريقنا إلى فرنسا. إنني متأكد من أن الرحلة ستعجبك. هل قلت لك أن هناك طائرة خاصة تحت تصرفنا؟

لم تتمكن من النطق، فاكتفت بهز كتفيها. تابع "ألان" حديثه:

«عندما اتصلت بوالدتي هاتفياً لأعلمها أننا سوف نسافر عندما تتوفر لنا أماكن في الرحلات العادية، أطلعتني على عرض تقدم جيراني بأن يضعوا طائرتهم الخاصة تحت تصرفي.»

قالت "فلورا" في صوت خافت:

«لجيرانك طائرة خاصة؟»

«نعم، إنهم أصحاب مصانع كبرى، يملكون قصراً قرب قصرنا، يقطنونه أشهراً قليلة خلال السنة كلها. وقد بنوا مدرجاً واشتروا طائرة، وهكذا يمكنهم السفر متى أرادوا وبالسرعة المرجوة. لكن السيد "لبستيه" يستعمل الطائرة من أجل القيام بأعماله العديدة. وهذا يعني أن امتلاكهم للطائرة، ليس ترفاً كما ظننت.»

تنهدت "فلورا":

«آه، إني أفهم الآن. إنها ملائمة ومريحة.»

اعتبر "ألان" أن جوابها سخيف فعاد الى صمته واستعاد نظرته الداكنة ولم يقم بأي جهد ليسري عنها من جديد.

وبعد ساعتين، عرفت "فلورا" للمرة الأولى ما يمكن أن تعنيه كلمة ترف. ساعدها سائق سير "فرانك" لانجاز الاجراءات، ثم عهد بها الى قبطان الطائرة، وهو شاب فرنسي، فراح يدلها على الطريق التي تأخذها الى المدرج حيث رأت "فلورا" طائرة، عنابية اللون، ذات شكل متناسق، وراحت تتساءل كيف يقود هذه الطائرة انسان واحد. وكانت مندهشة بمساعدة "ألان" على تسلق سلم الطائرة وأدخلها بعد ذلك الى غرفة فاخرة وواسعة، تسع ثمانية أشخاص، مقاعدها من الجلد الليلكي، وفي الأرض سجادة عنابية سميكة. وبعد أن انطلق زئير الرياح، سقط

"ألان" في مقعده وأمر المضيفة:

«عندما تقلع الطائرة، أحضري لي شيئاً أشربه.»

«بكل تأكيد، يا سيدي. وهل ترغب السيدة في شيء، هي أيضاً؟»

السيدة؟ الصدمة أفقدت "فلورا" النطق. ولأول مرة فهمت أنها دخلت الى حياة "ألان" بصورة نهائية. كانت المضيفة تنتظر بصبر، لكن صوت "ألان" القلق انتزع "فلورا" من حلم اليقظة وسألها طالباً منها جواباً سريعاً:

«فلورا؟ أين أنت؟ لماذا لا تردين؟»

«اني هنا بقربك، يا "ألان"، كما سأظل دائماً.»

وراء النظارات السوداء، تصعب قراءة ما في عينيه، لكن عندما استرخى في مقعده، رأت "فلورا" ابتسامة بطيئة ترتسم على شفتيه.

وبدورها استرخت، وحل مكان القلق الذي يعتريها نوع من الارتياح. إنها سفرتها الأولى وانطلاقتها الأولى الى عالم جديد يبدو مليئاً بالوعود المدهشة والساحرة. وخلال الرحلة كانت تحدق من خلال نافذة الطائرة، وشاهدت شيئاً فشيئاً اختفاء الساحل الانكليزي، الى أن حلقت الطائرة بين سماء جامحة وبحر هائج. لكن للأسف، بينما كانت تنتظر بفارغ صبر اكتشاف "فرنسا"، تكاثفت الغيوم أمام عينيها، ولمدة طويلة لم تكن قادرة على رؤية المنظر المعروض تحت أجنحة الطائرة.

وعندما جاءت المضيفة تقدم لها الطعام اللذيذ، قالت "لفلورا" إن الطائرة تحلق الآن فوق ساحل البحر الأبيض المتوسط، وقالت لها بأن الغيوم ستختفي عما قليل وسيكون في وسعها اكتشاف أجمل مناظر المنطقة. "ألان" ظل صامتاً، لا يتدخل في الحديث، كما رفض أن يأخذ يده الى الطعام واكتفى باحتساء القهوة. وبدأ يتوتر شيئاً فشيئاً مع مرور

الوقت. أخيراً، صدحا أعلن الطيار قائلاً:

«سنبدأ الهبوط سيدي الكونت».

شدت قبضة يده على الفنجان في لحظة جعلته يتحطم في يده.

«ألآن هل جرحت؟»

انحنت «لورا» لترى عن كثب ماذا حل بيده، لكنه ترك حطام الزجاج يتناثر ثم وضع يده المتشنجة داخل جيب سترته وقال بلهجة آمرة:

«لا شيء».

كان وجهه خالياً من أي لون والعرق يتصبب على جبينه.

«أرجوك. لا تتدخلي في تكلّفي».

لم يتسن لها الوقت للمناقشة، إذ وصلت المضيفة لتتأكد من وضع أحزمة الأمان. لكن قلب «لورا» هبط بسرعة مع هبوط الطائرة التي ستعيدهم إلى الأرض من جديد.

كانت على وشك الانهيار فلم تنتبه إلى حديقة البناء الأنيق حيث هبطت الطائرة، لكنها شاهدته من بعيد وقالت لنفسها إن مالكي هذا المكان أشخاص محظوظون وأثرياء. ثم جلست مع «الآن» في المقعد الخلفي لسيارة «الليموزين» الفخمة، وكانت السيارة تسير بسرعة كبيرة من خلال المناظر الخلابة التي لم ترها من قبل إلا على شاشة السينما. إلى يسارها، وبعيداً، تنتصب الجبال المغطاة بالثلوج، وإلى يمينها البحر الأزرق. وكانت الطريق تتعرج بين التلال المزروعة صنوبراً وزيتوناً وبرتقالاً وأكاليل الزهر. منازل صغيرة مخبأة حتى سقفها داخل غابات الصنوبر، ومجاري المياه الضيقة تسيل في أعماق الوديان، ومجموعة عطور تتشابك متناسقة لتؤلف أريجاً لا يمكن أن يصنعه أحد.

إنها بحق كالجنة لا في الكلمة من معنى. وكانت السيارة تمر من وقت إلى آخر، أمام فيلات جميلة مبنية في وسط الحدائق الرائعة حيث أشجار النخيل والزهور الغريبة. وفي كل مكان أشجار السرو والشربين تنتصب عالية كأنها لتلتصق بالسماء.

كانت «لورا» ترغب في أن تصرخ بإعجاب أمام كل منظر جديد، لكن «الآن» كان يبدو كئيباً متوتراً. لما أثبط من عزيمتها وحيويتها. ظلت ساكنة، مكتوفة اليدين، تحتفظ لنفسها بتأثير المناظر الساحرة عليها.

وما إن خفت سرعة السيارة لتدخل بين جدارين من الحجارة المنيعة المشبكة بقضبان الحديد حتى عادت «لورا» إلى الواقع في غضب جعل قلبها يقفز من مكانه. هل هذا حقاً منزل «الآن»؟ البناء الضخم الذي يتراءى لها من بعيد يوحي بأنه قلعة. ومع مرور الزمن، اكتسبت أسواره لوناً عسلياً. لكنه لم يفقد شيئاً من عظمته. القسم المتوسط المستطيل يتصل بالزوايا الأربع لأبراج متصلة. ولن تستغرب «لورا» إذا رأت الحراس في بذلاتهم الرسمية يقدمون أسلحتهم، أو إذا سمعت طلقات المدفع تحيي وصولها. وما اقتربت السيارة راحت «لورا» تميز مجموعة من الناس متجمعين في الساحة المتوسطة وعلى بعد بضعة أمتار عازفان من الرجال يحملون أبواقاً. وما أن ظهرت السيارة حتى أعطيت الإشارة، وإذا بالرجال يعزفون لحناً حماسياً على شرف الكونت وزوجته الشابة. كل هذا الاحتفال كان كبيراً وتقليدياً لدرجة أن «لورا» اعتقدت أنها انتقلت إلى القرن الثاني عشر. لم تعد تستغرب تصرفات «الآن». إن تعجرفه اللاواعي ليس ناتجاً عن غروره، إنما هو نتيجة طبيعية لتربيته.

أصوات الأبواق جعلت ألان ينتصب، وراح يشد على كتفيه ويحاول استعادة برودة أعصابه أمام التجربة التي تنتظره. منذ سنتين وهو غائب عن القصر، كل هذا الوقت أمضاه في المستشفى، وكان يصرّ على عدم العودة قبل استعادة بصره. لكنه قرر أخيراً التخلّي عن أنفته وكبريائه. كان قلب فلورا يذوب شفقة عليه، لكنها رفضت أن تظهر انفعالها، لأنها لم تنس الإهانة التي تعرضت لها في الماضي، لذلك كبتت قلقها وقالت بهدوء:

«ما هذا الاستقبال يا ألان! إنه لشيء عظيم أن ينتظر عودتك هذا الجمع الغفير من الناس.»

لاحظت مجموعة صغيرة تقف على درج مدخل القصر.

«أعتقد أني أرى والدتك، تحت نافذة القصر ومتلهفة.»

«ومن معها؟»

طرح السؤال في صوت مجروح. فحدقت فلورا جيداً في هذه المجموعة الصغيرة، وقرب شبح المرأة السيدة النحيلة، وقف رجل يكبر ألان بسنوات قليلة، وفتاة شابة. كانت فلورا على وشك أن تصفهم لزوجها، عندما خففت السيارة سرعتها وتوقفت. قفز السائق من مقعده ليساعدها على النزول.

صرخة كبيرة تعبّر عن الفرحة خرجت من الحضور، وفي احترام وضعت فلورا يدها تحت إبط ألان لتساعده في الدخول إلى المنزل. وأدهشت قبوله مساعدتها من غير أن يكفهرّ وجهه أو يقطب حاجبيه. وللمرة الأولى، فضّل أن يحتل شخصها بدلاً من الثانية السحرية لما تعثرت قدميه أمام هذا الجمهور الغفير.

واندفع الموجودون نحوه. النساء والفتيات، معظمهن يرتدين الثياب

السوداء والمناديل اتقاء حرارة الشمس. الأولاد ذوو البشرة السمراء يمسكون بأيدي أمهاتهم. العجائز يخلعون قبعاتهم احتراماً للكونت الشاب الذي، لا شك أن الجميع يحبونه.

وتألقت ملامح ألان بابتسامة عفوية حقيقية شاهدتها فلورا للمرة الأولى. كان يرد على كل صوت باسم الشخص الذي يناديه، كأنه يرى ويعرف كل واحد بمفرده. انفصلت بين الجميع امرأة مسنة حتى وصلت إلى المقدمة ولذا بها تتمسك به وهو مار بقربها. كانت الدموع تنهمر بغزارة على وجهها الأسمر المتجعد وصرخت تقول:

«آه، يا ولدي ألان المسكين.»

كانت فلورا تفهم بصعوبة ما تقوله هذه العجوز، لكن لم يكن هناك مجال للشك في العاطفة التي كانت تعبّر عنها، وتخوّفت فلورا من ردة الفعل التي يمكن أن تصدر من ألان حيال هذا. لكنه مدّ يده باحثاً عن يد المرأة العجوز ولمّا شدّ عليها، أجاب بلطف:

«شكراً يا عجوزتي فيكتوريا، شكراً لعاطفتك ولعرفانك.»

وما لبث أن تحرّر من قبضتها وأكمل سيره.

ولمّا وصلا إلى مقربة من عائلة ألان، كانت فلورا تحبس دموعها وتحس عطفها. وقبل أن تلفت انتباه زوجها أن عليه تسلّق السلالم، نزل الشاب الذي كان يقف قرب الكونتيسة الأم السلالم مسرعاً.

«أهلاً وسهلاً يا ألان لقد طال غيابك.»

وتأبط ذراع ألان ليساعده على تسلّق الأدراج.

وما أن سمع ألان صوت الرجل حتى غابت الابتسامة عن شفتيه وأجابه بلهجة تنمّ عن حقيقة عواطفه القلقة.

«سولانج، أحب أن أقدم إليك زوجتي... الكونتيسة تريفيل الجديدة»

إنها اللحظة التي كان «آلان» ينتظرها لأسباب يجهلها. كانت الفتاة الجميلة هي الضحية التي ستسقط فريسة انتقامه.

٥ ـ حادثة في قصر الزهور

كانت «فلورا» تتأمل بإعجاب خزانة الثياب الضخمة التي تحتل جدار الغرفة بكامله. لقد علّقت آخر فستان لها، وكانت تبعد الفساتين عن بعضها ومع ذلك ظل الفراغ واسعاً يزيد من فقر جهازها. أغلقت الباب وهي تهز كتفيها، مقررة أن تبعد عنها كل الأفكار التي تضايقها: أصلها البسيط وعدم قدرتها على الظهور في مستوى العظمة التي تحيط بها، ابتداء من اليوم، حول عائلة «آلان»، ووالدته الحارة والودية والأرستقراطية، وابن عمه الجذاب وأخيراً صديقته، «سولانج شينيه»، التي قامت بجهد كبير لتخفي نقمتها، والتي كانت عيناها الغامضتان تكذبان الكلمات اللطيفة التي اضطرت أن تنطق بها رغماً عنها.

ومن جراء تفكيرها بكل هؤلاء الأشخاص شعرت برعشة تخترق جسمها. الجميع سيتناولون طعام العشاء معاً، ولهذا اقترحت الكونتيسة الأم على «فلورا» أن تأخذ قليلاً من الراحة قبل العشاء.

استقبلت الفتاة الفكرة بفرح، لكنها شعرت بأن عقلها لم يتوقف عن التفكير وهذا لن يساعدها على الاستمتاع بالراحة المرجوة. فأدارت نظرها عن الأثاث الفخم، واقتربت من النافذة وحاولت استعادة توازنها، وراحت تتأمل الطبيعة. لكن، في الخارج كما في الداخل، كان الترف نفسه. مما جعلها تحن الى منزلها العائلي وطرازه المرح الانكليزي. كانت على وشك البكاء، عندما سمعت طرقاً خفيفاً على الباب. وبسرعة، وضعت يدها على عينيها قبل أن تجيب:

«ادخل!»

كانت تنتظر أن ترى إحدى الخادمات، لكنها بوغتت عندما انفتح الباب وظهرت والدة آلان.

«كونتيسة! لم أكن اتصوّر أن يكون الطارق انت...»

احمرّ وجه فلورا مثل تلميذة ارتكبت ذنباً ثم تابعت كلامها وهي تقدم لها كرسياً.

«ارجوك، أن تجلسي.»

وفي ابتسامة أنيقة، جلست الكونتيسة. كانت ترتدي فستاناً رمادياً فخماً يشع الماس من عقدها ومن خواتمها العديدة. كانت تجسّد الترف الذي يجعل فلورا تشعر بعقدة النقص ويزيد من توتر أعصابها.

قالت الكونتيسة بلطف:

«اجلسي يا ابنتي. يجب أن نتحدث، أنت وأنا. إني ادرك بوضوح التوتر الذي تعانينه وتتحملينه. ولأني عرفت أن ذلك يمنعك من الاسترخاء والاخلاد الى الراحة، فكرت بأن اغتنم هذه الفرصة لأتحدث اليك. هل هذا يزعجك، يا ابنتي... هل تفضلين أن اذهب واتركك وحدك...»

أجابت فلورا في حماسة

«آه، لا. بالعكس. أهلاً وسهلاً بك، يا كونتيسة!»

انحنت المرأة العجوز وربتت على يدها وقالت في ترفق:

«اذاً في البداية، لنتفق على الطريقة التي ستنادينني بها... يا ابنتي العزيزة، أحب ان تناديني أمي كما يفعل آلان. أرجو أن تعجبك هذه الفكرة...»

فرحت فلورا واتسعت حدقتا عينيها. هذه المرأة العجوز الأرستقراطية تخشى أن تسيء استقبالها. وهذا ما أفقدها كل حذر. ازالت فلورا من مقعدها وركعت امام الكونتيسة. كانت تبتلع دموعها. رفعت عينيها وقالت ببساطة:

«هذا لطف منك، يا امي، أن تمنحيني هذا الشرف الكبير»

وللحظة كانت الكونتيسة على وشك الاستسلام لانعطافها، لكن سنوات التدريب المنظم ساعدتها. فشدّت على شفتيها المرتجفتين وقالت في صوت خال من المرارة:

«هل تعرفين أني اتوقع أحداثاً سعيدة مع وصولك الى هنا كزوجة لآلان. مثلاً، ألم تلاحظي أن اسمك مناسب جداً...»

قالت فلورا مبتسمة

«لأني ادعى فلورا أي زهرة، ونحن في قصر الزهور نعم إنها حقاً صدفة غريبة.»

وأكملت الكونتيسة وهي مرخفة اليدين:

«وهو في ذلك، واليوم، مضى على حادث آلان سنتان بالضبط. ولا شك أن عودته كانت مثيرة لو لم تكوني بقربه وتخففي عنه كل هذا الألم»

اختفت ابتسامة فلورا. كان آلان في الحقيقة وحيداً. وكانت

تعذّب لو اكتشفت أنه نادراً ما يبوح لها بأسراره. لا شك أنه يرغب في كتم كل الحوادث الماضية. ومع ذلك، فعليها أن ترد على بعض الأسئلة وإلاّ تعتبرها العائلة وأصدقاء زوجها عديمة الاحساس، هم الذين يتزعمون أنها على علم بكل ما يجري في الحاضر وما جرى ماضياً.

سألت على مضض:

«كيف.. كيف وقع الحادث، يا أمي؟»

تراجعت الكونتيسة قليلاً. لكن تعبير «فلورا» القلق والعذاب الظاهر في عينيها الزرقاوين ونظرتها المتوسلة، كلها دلّت على أن الفتاة تريد جواباً على سؤالها. تغلّبت المرأة العجوز على حسرتها وأجابت:

«لا أحد، حتى اليوم، يعرف بالتأكيد كيف حصل الحادث. كان «ألان» يعمل في المعطرة، ويقوم بتجارب عديدة على عطر جديد مستعد، وكان يبدو فخوراً بهذا الانجاز بالذات»

وأمام نظرة «فلورا» المتفاجئة شرعت تقول:

«عائلتنا، منذ قرون عديدة، تعمل في صناعة العطور يا ابنتي العزيزة. لا شك أنك سمعت عن عطور «تريفيل»»

تذكرت «فلورا» القارورة الصغيرة لعطر غالي الثمن قدمته لها مرة صديقتها «جنيفر» في عيد ميلادها. كانت تستعمله بدقة حتى القطرة الأخيرة، كما أنها حافظت على القارورة الفارغة في درج خزانتها لتعطر ملابسها.

أجابت «فلورا»:

«بكل تأكيد، الجميع يعرفون عطورات «تريفيل»»

هزت الكونتيسة رأسها في رضى وتابعت تقول:

«لدينا شهرة كبيرة نستحقها، على ما أعتقد. إن «ألان» خبير وماهر وبالتأكيد، لديه سنوات عديدة من الخبرة وحياة أمضاها في اتصال دائم مع هذه الصناعة. «ولويس» كذلك، لكنه لا يملك نصف مؤهلات وقدرة «ألان» البارعة. لأنه، حاسة ممتازة ومرهفة ونادرة، تمكنه من كشف جميع الفوارق الدقيقة الموجودة في العطر وتعريف كل نوع وعنصر يتألف منه هذا العطر. لكن موهبته الحقيقية هي قدرته على خلط خلاصة كل زهرة بأخرى وتنويعها، من أجل انتاج عطورات جديدة متناسقة. حتى أن الخبير الماهر لا يمكنه معرفة مصنوعات العطر إلاّ بصعوبة كبيرة. نعم إن غياب «ألان» أثر كثيراً على هذه الصناعة. صحيح أن «لويس» ما زال هنا لكنه لا يملك الشرارة الخاصة بالعباقرة. انه يقوم بجهد كبير، لكنه ما زال صغيراً ولديه الميل في البحث عن مسليات أخرى خارج العمل.. وحديثاً، كان «ألان»، هو أيضاً، غير مبالٍ.. وغير مكترث..»

توقفت عن الكلام وقامت بحركة صغيرة كأنها تريد التخلص من ذكرى معينة. ثم أكملت في صوت حازم:

«يجب أن تطلبي من «لويس» أن يأخذك لزيارة المعمل، يا «فلورا». يعرف تماماً أن يكون رفيقاً رائعاً ولطيفاً، وإني متأكدة تماماً انك ستجدين نفسك مهتمة بالأمر»

قالت «فلورا»:

«لا شك في ذلك، يا أمي»

هذه الأفكار كانت تقلقها بعض الشيء، لأنها كانت تخشى ألاّ يوافق «ألان» على هذا التخطيط. لكنها لم ترَ أي عذر مقبول للرفض.

قالت الكونتيسة:

«سوف تذهبين في الغد ريثما أكلم لويس بالأمر»

قالت فلورا في هدوء:

«كنت ستحدثينني عن حادث ألان...»

لكن الكونتيسة قالت وهي تهز كتفيها بخفة:

«ليس هناك ما أضيفه. لقد جاء أحد العاملين في المصنع الى القصر ليخبرنا أن ألان أصيب في عينيه من مادة الأسيد بينما كان يعمل في المختبر. يستعمل الأسيد لتنظيف الأثاث، حتى لا تفسد التجربة تجربة أخرى. وسولانج نفسها، التي كانت تعمل معه لم تتمكن من تزويدنا بالتفاصيل الدقيقة عما حدث آنذاك. منذ سنتين تقريباً. أما بالنسبة الى ألان فقد رفض أن يحدث أحداً بالأمر»

شعرت فلورا بقشعريرة تعبر جسدها، لكن قبل أن تتمكن من طرح أسئلة أخرى، نهضت الكونتيسة وقالت بحنان:

«سوف نتحدث عن ذلك مرة أخرى. يجب أن أرتاح قليلاً، قبل موعد السهرة»

توجهت نحو الباب. ثم توقفت:

«يا ابنتي، فلورا جئت لأقول لك كم أنا سعيدة لأنك قبلت ألان زوجاً لك. إن الحياة، بالنسبة اليك، ربما تكون... صعبة.. لكن، أؤكد لك، أنك تصرفت جيداً حتى ولو أظهر بعض الأحيان قسوة وأبعد بعض الناس، فانك، بكل تأكيد، ضرورية لسعادته... وهو ضروري لسعادتك أنت أيضاً. أرجوك أن تقبلي بركتي وامتناني»

ظلت فلورا جامدة تفكر بكلمات الكونتيسة بعد ذهابها. لقد عبرت عن عاطفتها بصراحة وصدق وأفهمتها مدى الحيرة والارتباك حيال التغيير الذي طرأ على ابنها. وفلورا نفسها، لم تلاحظ في لقائها

الأول بالكونت هذه الأناقة وهذا اللطف وهذه الطلاقة التي تسحر المرأة. وضعت يدها على حنجرتها التي كانت تؤلمها. انها مقتنعة بأن ألان سيصبح هكذا من جديد إذا تخلص من مزاجه الحزين الذي يسيطر عليه. لكن، هل سيلجأ اليها، فيما بعد هي الفتاة البسيطة، ابنة الكاهن، ليشاطرها فرحه وأحلامه أو يلجأ الى سولانج بسهولة أكبر؟ فجأة شعرت بالمرارة تخنقها، فقررت أخذ حمام سريع حار قبل موعد العشاء.

انها و ألان يتقاسمان الجناح ذاته، فهي تشغل الغرفة الواسعة، وهو يشغل الغرفة الصغيرة. ويفصل بين الغرفتين حمام مشترك. عندما دخلت الحمام، لم تسمع أية حركة داخل غرفته. دخلت الى الحجرة الشفافة وشدت الخشبة وراحت تستمتع بالماء. ولم تقرر إنهاء الحمام إلا حين شعرت بالبرد يخترقها. فتناولت منشفة الحمام وراحت تدلك جسدها بهمة ونشاط. فكانت منهمكة الى درجة أنها لم تسمع الباب ينفتح، ولم تحس بوجود ألان إلا بعد أن رفعت رأسها ورأته. كان مرتدياً مئزر الحمام، ويتقدم ببطء نحو الخشبة. وإذا بفلورا تضع يدها على فمها لتخنق صرخة كادت تنطلق، لكنه سمعها وقال بنبرة قاطعة:

«من هنا»

لم ترد. ارتبكت من الرهبة، رغم معرفتها أنه غير قادر على رؤيتها.

«من هنا؟ أريد جواباً في الحال»

تقدم خطوة الى الأمام لكنه تعثر إذ ارتطم بكرسي صغير. فركضت تمسك به كيلا يفقد توازنه. فتمسك بها. ومن جراء هذا الاتصال الجسدي الأول شعرت أنها لم تعد تلك الفتاة الصغيرة الخجولة والخائفة، لكنها امرأة، ترتعش فرحاً ورغبة لدى لمس زوجها لها.

قال بصوت خفيض:

«فلورا»

كان على وشك إبعادها في غضب، لكنها تحدثت قائلة:

«أرجو أن تسامحني يا ألان»

وتذكرت بصعوبة أن العينين السوداوين المحدقتين بها لا يبصران في الواقع.

«حاولت أن أقفل الباب بالمفتاح، لكني لم أتمكن من ذلك. اعتقد أن القفل معطل...»

كان جامداً لا يتحرك، وما زال متمسكاً بها، يلمسها بشدة نحوه. وفي عينيه الخاليتين من النظارات، يلمع نور خفيض وعلى فمه ترتسم ابتسامة غامضة. وببطء، جذبها نحوه، رفع خصلات شعرها الطويلة المتجعدة فوق جبينها. راح يتكلم في صوت حزين، ما تعوّدت سماعه:

«قال لي لويس إنك امرأة تتمتعين بجمال خارق. قال بالحرف: إنها وردة انكليزية رائعة.»

كانت ترتجف بين يديه، غير قادرة أن ترد عليه وتشعر به قريباً منها. وتابع كلامه:

«هل تسمحين لي بأن أحكم على ذلك بنفسي؟ إن وجهك مني... لست قادراً على أن أرسم في عقلي صورة زوجة سيجعلني عليها كل أسئلتي، كما قال لويس.»

لم تتراجع فلورا عندما وضع ألان يده على وجهها. وبنعومة وبطء كانت يداه تمران على جبينها الناعم وفوق عينيها النعسانين رموشها ثم تنتقلان الى خديها.

همس وهو يردد كلمات لويس:

«عينان زرقاوان ويتمان تشبهان أزهار البنفسج، بأشاعيها ونعومتها المخملية. شعر كثيف وأشقر كالذهب. شفتان تشبهان الورد.»

كانت فلورا تتخبط بين الخوف واضطرام العاطفة. كان النبض يقفز في أذنيها وشعرت بنفسها فريسة أحاسيس غريبة تزداد تطلباً كلما امتدت أصابع ألان حول عنقها الرهيف لتتركه مطوقاً على كتفيها. وصارت كالمجنونة عندما تركت أنشفة من جسمها. وفي تلك اللحظة بالذات أظهر ألان بدهشة غريبة أنه غير قادر أن يسيطر على نفسه أكثر. وبقوة شد زوجته نحوه وعانقها ومن كل أعماق قلبها المحب. كانت فلورا تشاركه هذا الاحساس. كانت غارقة في حبهما، وفي الوقت نفسه كانت تسمع صوتاً يقول لها إن هذه الرغبة الجامحة التي يتظاهر ألان بها، لم تكن موجهة اليها إنما لشبح من الماضي. لكنها رفضت أن تصغي الى ذلك الصوت. من كل قلبها، من كل روحها، كانت تحب ألان، حباً عميقاً الى درجة أنها كانت مستعدة لتبادله كل عواطفه.

وفجأة، ابتعد عنها وقال بصوت لاهث، يكاد متقطع:

«أرجوك أن تغفري لي تصرفي هذا. ما كان يجب أن يحصل ما حصل.»

راح يحاول استعادة برودة أعصابه:

«لا أجد عذراً لكن هذا التصرف. إنه جدير بالاحتقار. فلورا، هل تسامحينني؟»

فوجئت لما رأت الكآبة على وجهه، فقالت:

«ليس لك أن تعتذر يا ألان.»

قامت بحركة لتضع يدها حول عنقه، فتمسك بمعصميها، فصرخت:

«ألان لا داعي للاعتذار، أنا زوجتك.»

جوابه البارد أطفأ في داخلها كل أمل:

«كان لي هدف من الزواج منك. لكنه لم يكن هذا الهدف. إني في حاجة الى وجودك. لكن، يا إلهي، لا أعرف لماذا»

كان يبدو مرتبكاً وغير منطقي وتائه

«بدأت أفهم أنك ارتكبت غلطة كبرى بالسماح لك بأن تتزوجي نصف رجل مثلي، عندما عرضت عليك الزواج. كنت أعتقد أني أخدعك بذلك»

«تخدعني؟»

وبعد صمت مزعج، عاد يقول في تردد مضطرب:

«سأكون صريحاً معك. كنت دائماً صادقة معي وسأجازيك بالمثل، على الأقل»

صمتت [illegible] في انتظار اعترافه [illegible] ومن [illegible] حركات [illegible] شعرت [illegible] لكنها [illegible] ما سيقوله

«لأسباب عدة، كنت في حاجة الى زوجة، وكنت أنت المرشحة المثالية. عندما سألتك أن تتزوجيني، كنت أعتقد أنك امرأة في سن متقدمة، وسيدة مطيعة لا ترفض متطلبات والدها، وليس لها أمل بالخروج من الوضع الشاق الذي كانت متورطة فيه»

رفع يده ليفرض عليها الصمت، عندما سمع شهقة تعجب أطلقتها فلورا وأضاف يعنف:

«لم يقل لي أحد أنك فتاة شابة وجميلة، قادرة على جذب الرجال. لا أحد قبل لويس... بعد أن فات الأوان. كنت اعتقد بأن صداقتك عائدة الى تربية قاسية. لو عرفت أن سبب ذلك أنك ما زلت شابة، لما

استغليت ثقتك وإرادتك الطيبة. بالنسبة الي كنت الرفيقة المثالية، التي لم أكن احتاج معها الى ارتباط. أي قناع أرجوك أن تصدقيني. كنت مندهشاً ومضطرباً عندما وصفك لويس. اعتقدت أولاً أنها مزحة من مزحاته التافهة. ولهذا السبب تصرفت الآن بهذا التصرف المؤسف. كان يجب علي أن أعرف»

شعرت فلورا بالحزن لكنها تمكنت من اطلاق ضحكة سريعة قبل أن تسأل:

«لماذا كنت تعتبرني عانساً هكذا؟ فلماذا أردت أن تتزوجني؟»

ومن خلال سحابة الدموع المغرورقة في عينيها، رأته يهز كتفيه ويقول:

«يمكنك أن تعتبريني جباناً إذا أردت. لكني كنت أبحث عن السكن أحتمي به من العواطف الجارفة التي تتطلب [illegible] كنت بحاجة الى [illegible] أو [illegible] الحقيقة [illegible] لكني أرى أن الترف والمال وكل ما يمكن أن أقدمه اليك بديلاً. ليس لها أهمية بالنسبة الى المرأة التي أتصورها...»

ثم أكمل يقول:

«لكني لا أفهم، لماذا قبلت عرضي. وما هو السبب الذي تقبلين الزواج من أجله؟»

شعرت فلورا بقلبها ينتفض في صدرها. من الأفضل أن تتركه يعتقد أن هناك دوافع عديدة وذات أهمية. أجابت في لهجة جارحة محاولة السيطرة على ارتجاف صوتها:

«ربما كان حكمك علي خاطئاً. إن ثروتي [illegible] بمثابة سجن

حقيقي وكنت دائما أحلم بالفرار والعيش بعيداً. لذلك عندما اقترحت على أن تتزوجني وتأخذني معك الى فرنسا أردت ألاّ أدع هذه الفرصة تفوتني. لذلك ليس من الداعي أن تحكم على تمسكي أو على أعمالي. يا الآن. لقد اشتريتني وأنا كنت مستعدة كل الاستعداد لأبيع نفسي. الزمن هو الوحيد الذي سيقول لنا من منا التي قام بصفقة أفضل.»

كان الغد الآن - الكونت يرتعش. كان يبدو مرتبكاً الى درجة أنه لم يجد أي جواب. لكن سرعان ما ابتسم ابتسامة ساخرة واستعادت عيناه رونقهما الشاكي. ثم استدار وقام بتحية سريعة وخرج من الباب تاركاً فلورا وحيدة. راحت تبكي وترتجف من البرد في هذه الغرفة الفارغة.

٦ - سؤال بلا جواب

عندما يصل الانسان الى قمة العذاب، يتوصل الى معرفة الحضر الفرح والاحساس به. وبعدما استعرضت فلورا كلمات الآن القاسية، وعندما اضطرت الى الاعتراف بأنه لا يعني لها الكثير، وبأنه لم يطرح أي سؤال حول منظرها الخارجي أو حول عواطفها، توصلت الى الاحساس بذلك الحضر الذي سيساعدها على تمضية الليل ولو بصعوبة.

بعد خرجت من الحمام، جلست على حافة سريرها وراحت تفكر في السلوك الذي يجب أن تتبعه كي لا تزعج الاشخاص المحيطين. لقد طرحت بعيداً فكرة العودة الى انكلترا. إذ لم تكن تريد بأي ثمن أن ترى والديها يتعذبان من أجلها

الكونتيسة الأم... يجب هي أيضاً، ألاّ تعرف عمق الهوة التي تفصل ابنها عن عروسه الشابة وخاصة الآن على هذه النقطة بالذات عندما دار الحديث حول الاقامة في جناح مشترك. فقد أفهمها أن والدته

سعيدة جداً بزواجه ولا شيء يجب أن يعكّر هذه السعادة. وقبلت فلورا أن تلعب هذا الدور في وجود الكونتيسة. ولذلك يجب عليها أن تلقي وجهها، حتى إذا كان ذلك يعني، أنّ عليها البقاء في القصر إلى الأبد، أو على الأقل، إلى فترة من الزمن يوافق عليها الآن بنفسه.
ومع ذلك، اتخذت قراراً حازماً، لن تعود من الآن فصاعداً، تلك المرأة الوديعة التي تطيع كل نزواته، ولا تلك المرأة المستسلمة التي تقبل كل كلماته القاسية. ستكون لها حياتها الخاصة، هي أيضاً. صحيح أنّ مستقبلها يبدو صعباً، لكنها لن تدع زوجها يجعله مستحيلاً.

ارتدت ملابسها استعداداً للعشاء، ونزلت على مهل لمواجهة محيطها الجديد. إنّ اتساع المكان وحجمه الضخم يرعبانها، رفعت عينيها الواسعتين نحو السقف العالي، نوافذ طويلة وضيقة حيث تدخل أشعة الشمس التي تنير الأثاث الخشبي المنحوت بفن رفيع. هنا وهنالك تجد المشاكئ المحفورة في الجدران والتي تحتوي على التماثيل الفاخرة والمتقنة. درابزين الدرج الواسع المصنوع من الحديد المنحوت بدقة كما نسيج العنكبوت بيده. وفي الطابق الأرضي كان البهو أيضاً مبلّطاً بالرخام، ذي المربعات الوردية والبيضاء، وتطل على البهو أبواب عدة. رأت فلورا أن أحد هذه الأبواب مفتوحة، فاتجهت صوبه.

الغرفة التي دخلتها كانت غرفة المكتبة. جدرانها الأربعة مكسوّة بالكتب المجلّدة بمختلف الألوان والأحجام والممتدة من السقف حتى الأرض. سلالم نقالة متحركة تسمح بالوصول إلى الرفوف العالية.
وفجأة سمعت صوتاً:
«آه، الزهرة الجميلة! إني سعيد أنك جئت مبكرة. سوف يتسنى لنا التعرّف عن كثب»

تورّدت فلورا لكن لويس ابتسم معتذراً
«عفواً إذا كنت أخفتك. دعيني أقدّم لك شيئاً قبل الاعتذار»
ردّت عليه بابتسامة عريضة. هذا الرجل جذّاب وعفوي، ومن المستحيل مقاومة سحره.
«أعرف»
«شكراً»
توجّه نحو طاولة عليها كل أنواع المشروبات
«ما رأيك بعصير الليمون؟»
«عظيم»
قدّم لها العصير وهو ينظر إليها في ثوبها الأزرق البسيط الذي حاكته والدتها. كانت بالنسبة إليه انتعاشة جديدة. وربما كان يلقي نظرة على شعرها المرتجف، وعينيها الجميلتين الخائفتين. فهم كيف تخشى المرأة من الحب، وكيف تخاف أن تعترف، تترك عينيها ويديها وشفتيها شرف الاعتراف.
كانت تحتسي مشروبها في جرعات صغيرة وتتساءل متى سيأتي الآخرون. نظرات لويس الواضحة لم تزعجها كما كان يخشى، لكن لعل لقاء جديد مع سيلاين أزعجها.
أعلن لويس بنبرة عادية تشبه نبرة الآن
«لا شك أن سيلاين تفعل المستحيل كي تبدو بمظهر رائع تتحدى به كل الاشاعات التي تهدد مركزها كأجمل امرأة في المنطقة...»
حدّقت فلورا في عيني لويس وقالت بهدوء:
«إنك تقصد الآن بالذات. أليس كذلك؟ إذا كان هناك شيء على معرفته، فلماذا لا تكون صريحاً وتتكلم؟»

شعر لويس بارتياح أمام هذا الصدق البسيط لكنه سرعان ما قال وهو يهز كتفيه:

«الناس هنا يعرفون أن ألان وسولانج كانا على وشك الزواج. وربما أنت على علم بذلك أيضاً»

راحت تعض على شفتيها، فسارع بطمأنتها قائلاً:

«لا تقلقي، لم يعد ذلك وارداً منذ سنتين تخلت سولانج عن الخطبة بعد الحادث بقليل. كان ألان وقتذاك في المستشفى والجميع وجدوا أنها لم تتصرف معه كما يجب. ولا أعتقد أن الكونتيسة غفرت لها ذلك. بعد ذلك رفض ألان أن يسمع أي شيء عن سولانج. لذلك فوجئت اليوم من تصرفه لقد طالبنا الشيخ سولانج بمغادرة القصر قبل مجيء ابن عمي. لكنها أصرت على أن تكون موجودة لاستقباله. وبالطبع كانت تعتقد أنه سيكون وحده. لقد طلبت مني الكونتيسة أن أعدها بألا أخبر سولانج عن زواج ألان ...»

سألته فلورا:

«هل يعني هذا أن سولانج كانت تنوي مصالحة ألان؟»

أجاب لويس مقطباً حاجبيه:

«ليس في استطاعة أحد أن يدخل إلى أعماق سولانج. منذ سنتين لم نرها في القصر إلا نادراً حسب رأيي. لا شك أنها توقعت نجاح العملية الأخرى، وقد تكون صممت لنفسها شيئاً. جاءت إلى هنا منذ أسبوع وقامت بالترتيبات اللازمة لتؤمن عودة ألان بطائرة والدها. هل كنت تعرفين ذلك؟»

هزت رأسها فأضاف لويس:

«ربما شعرت بصدمة قاسية لدى سماعها بفشل العملية. وكذلك

صدمت مرة ثانية لدى اكتشافها زواجكما. وأنا أعتقد أنه السبب الذي جعلها تترك البلاد في القصر. إنها تحتمل أن ألان يخصها وحدها، ورغم رفضها تقاسم الحياة بكاملها مع رجل ضرير إلا أنها لا تستطيع أن تتصور أن امرأة أخرى خطفت منها ألان»

ثم أضاف:

«يا فلورا، عليك أن تحذري منها يمكنها أن تكون خطرة. ولن تتردد من أن تجعلك تدفعين ثمن خيبة أملها»

اصفر وجه فلورا. كلمات لويس تكاد تحبط من عزيمتها. لقد أفهمها لويس بدون أن يدري موقف زوجها. أراد أن ينتقم من سولانج بزواجه منها. وشعرت بأنها على وشك البكاء. وكانت تسقط لو لم يسارع لويس إلى تدارك ذلك في الوقت المناسب. وهنا دخلت سولانج وقالت في صوت ساخر:

«ماذا أرى؟ هكذا إذاً يا لويس، إنك الآن تداري مواهبك»

ثم استدارت نحو ألان وقالت:

«إنك ترى فلورا ولويس. إنهما في ذروة انسجامهما»

كانت وجنتا فلورا محمرتين كالنار وهي تتخلص من بين ذراعي لويس. لم تكن تحدق إلا بألان. وشعرت بانقباض في قلبها عندما رأت الغضب في وجه ألان. وهي وحدها لاحظت انفعاله. وعندما اقترب قال لها بنبرة خفيفة:

«هلا بعد يا سولانج اكملي حديثك. لولاك ولولا تنبيهك اليقظ لكنت مضحكاً أمام الجميع»

سقطت الابتسامة من على شفتي الفتاة وشعرت فلورا بارتياحة تعرف عندها أن لويس على حق، سولانج قد تكون عدواً خطراً.

وهنا وصلت الكونتيسة. وبعد دخولها غرفة المكتبة، انتبهت غريزياً أن شيئاً ما يحدث. كان «آلان» أول من حيا والدته:

«آه، يا أمي الحبيبة، انت هنا؛ والآن يمكننا البدء في العشاء».

عادت اليها بشاشتها وأجابت:

«آلان، انك لا تتغير. انك توبخني دائماً على أني متأخرة؛ لكنني سعيدة لعودتك ولذلك أسامحك».

وفجأة سألت «سولانج»:

«كيف عرفت، يا «آلان»، أن أمك هنا؟»

«هل نسيت بهذه السرعة، يا «سولانج»؟»

تبادلت الكونتيسة و«لويس» الابتسام. «فلورا» وحدها لم تفهم شيئاً.

قالت «سولانج» في اشمئزاز واستياء:

«كلا، بالطبع. إن والدتك تتعطر بالعطر التي صنعته خصيصاً لها وأنت شممته حتى قبل أن تدخل الغرفة. انك ما زلت تحب هذه اللعبة، أليس كذلك، يا «آلان»؟ وتعتز بشرفك، وأنت أعمى، على أن تعرف متى تدخل أمك الغرفة».

اختفت نظرة الاشمئزاز من عينيها واكتسى صوتها نبرة حزينة وقالت:

«ولكن هل نسيت يا «آلان»، أنك وعدتني بابتكار عطر خاص بي؟ هل كان ذلك العطر التي كنت تصنعه خلال الحادث، أو أنك اضعت الوصفة؟»

اصفر وجه «آلان». تلفتت «فلورا» نحوه. لكن «لويس» شدّها من ذراعها فقال «آلان» وأسنانه تصطك:

«ليست الوصفة وحدها التي ضاعت، في ذلك اليوم، ويكفي أني خسرت نظري لأتحرر من هذا الوعد. انا لست بأي وعد ملزم».

كأنه لم يتكلم ولم يخاطب. اذ تقدمت «سولانج» منه كأنها تتوسل اليه. وقالت «فلورا» لنفسها إن «آلان» عاجز عن تحمّل هذه المرأة الجميلة ذات القوام المشرق.

قالت «سولانج» بإلحاح:

«يجب أن تتابع تجاربك، يا «آلان». إن موهبتك الأساسية هي حاسة الشم، وما زلت تملكها، ولم تخسر خبرتك المكتسبة خلال السنوات الماضية. ينقصك النظر فقط وأنا يمكنني أن أعيده إليك. كنت تقول دائماً انني أساعدك في الماضي ويمكنني أن أساعدك الآن أيضاً. انت وأنا يا «آلان»، يمكننا استعادة السحر الذي جعل من «عطور تريفيل» شيئاً نادراً».

تدخلت «الكونتيسة» وعيناها تلمعان غضباً:

«أتريدين القول أن هذا السحر لم يعد موجوداً؟»

قالت «سولانج» وهي تهز كتفيها:

«إن «عطور تريفيل» تتمتع بشهرة تستحقها، وهذا ما نعرفه جميعاً ويجب الاعتراف، أيتها الكونتيسة العزيزة، أن غياب «آلان» ترك فراغاً لا يمكن أن يملأه أحد. ومنذ سنتين لم يتم صنع أي عطر غريب من نوعه. وهذا يجعل المنافسين يتهيجون فرحاً. انتم في حاجة الى عبقرية «آلان» اذا اردتم المحافظة على شهرتكم».

غضب «لويس» لكنه بقي صامتاً. التفتت «فلورا» اليه. خلف قناع اللامبالاة، شعرت بانزعاج هذا الشاب الذي حاول أن يحل مكان أخيه الكبير، لكنه فشل بصورة مؤسفة.

قال ألان بنبرة واضحة:

«لا شك أن معلوماتك واسعة يا سولانج لكن أرجوك ألا تحدثني عن أي شيء، بخصوص ما حدث، في الليلة الأولى من عودتي. لويس وأنا كنا دائماً على اتصال، خلال غيابي».

انتصب بقامته ولفظ كلماته بلهجة حازمة وهو يضيف:

«أما في يتعلق بعرض خدماتك، لأنّ هذا لطف منك أن تقترحي مساعدتي لكن أمل ألاّ تتهميني بنكران الجميل إذا رفضت مساعدتك. لقد نسيت، على ما أعتقد أن لديّ الآن شريكة دائمة يمكنها أن تساعدني في كل شيء... فلورا، زوجتي».

كانت كلماته بالنسبة إلى سولانج مثل صوت بارد، وفرحت فلورا لأنها لم تكن عرضة لسخرية ألان الذي كان يبتسم بينما الجميع يلازمون الصمت. انه وسولانج، الممثلان الأساسيان في المسرحية. كل الحاضرين فيها لا أدوار لهم لكنهم مسحورون. براكين الانفعالات تتتابع على وجه سولانج: المفاجأة، والاحتقار، والغضب وأخيراً، الاستسلام الحزين الظاهر في عينيها. اقتربت من ألان وضمته بين ذراعيها وهي تقول:

«أنت على حق. فأنا أتدخل في ما لا يعنيني. لو كان أبي موجوداً لقال لك إن هذا أحد أخطائي الكبرى. هل تسامحني، يا صديقي؟»

بدا ألان وكأنه استسلم، ووضع يد سولانج على شفتيه وقبّل طرف أصابعها وقال:

«ليس لك أن تطلبي الغفران يا سولانج الجميلة. أنت تعرفين تماماً أننا متفقان جيداً والخلافات بيننا تلقى معالجة».

ثم استدار نحو المجموعة الصغيرة وابتسم قائلاً:

«أعتقد أن الوقت حان لتناول العشاء».

خلال العشاء، كانت فلورا معجبة بلويس الذي أحاطها بكل مظاهر الرعاية واللطف. وسولانج استأثرت بانتباه ألان إلى درجة نسي معها الآخرين. لكن الكونتيسة لم تكن موافقة. كانت تحاول أن تستأنف جهدها لتدع الحديث يكون شاملاً الجميع. ومن دون إخفاء انزعاجها، قاطعت نكتة أطلقتها سولانج:

«ألان، طلبت من لويس أن يأخذ فلورا إلى زيارة المقاطعة، هذا الأمر يهمها على ما أعتقد».

رفع رأسه ووضع شوكته على صحنه وسأل:

«لماذا لويس؟ هل هناك سبب يمنعني من أن أصطحبها أنا بنفسي؟»

«بإمكانك أن تذهب أنت معها أيضاً، يا بني. لويس يطلعك على التغيرات التي حصلت خلال غيابك، وفي الوقت نفسه يطوف مع فلورا في كل الأمكنة».

احمرت وجنتا الكونتيسة، فاستدارت نحو كنتها وعادت لتقول بعصبية:

«يجب أن يأخذك إلى حقل الزهور. إنه منظر ذو جمال خلاّب. وستلتقين الفلاحين. إن بعضهم من هنا لكن معظمهم يأتون فقط خلال الموسم. ومنهم عائلات كثيرة تعمل عندنا منذ أجيال عديدة. القدماء كانوا هنا عندما جئت أنا إلى القصر، وكنت عروساً، وكبر أولادهم مع ألان ولويس، ويكادون يكونون أخوة...»

فجأة خفت صوتها المرتعش، وشعرت فلورا بأن ألان منزعج من اضطراب والدته بسبب توتر أعصابها. كانت يدا الكونتيسة ترتجفان. رفعت كأسها واحتست جرعة منه ثم وضعت فوطة على

سألها في صوت متوتر:

«هل أزعجتك؟ لم أكن قادراً على النوم وتساءلت.. ربما يمكننا أن نتحدث..»

بذلت فلوريا جهداً كبيراً للمحافظة على نبرة صوتها الطبيعية، لأنها تعرف أنها يجب عدم اظهار شفقتها. فقالت:

«بكل تأكيد، ادخل. وأنا كذلك لم أستطع النوم. ومن الأفضل أن نتحدث.»

وبهدوء راحت فلوريا تحدثه، حول كل شيء وحول لا شيء، إلى أن شعرت بالعجز تماماً فسكتت، واكتفت بالبقاء قربه، أمام النافذة، تاركة لليل العذب اكمال المهمة.

«أنت انسانة مريحة جداً، يا فلوريا، هادئة وساكنة؛ إنها الصفات التي جذبتني إليك في البداية.»

ثم أضاف بلهجة أكثر قسوة

«وربما، لأنها تعاكس كلياً مزاجي الشيطاني، ونزواتي المتفجرة التي لا تطاق.»

قالت بهدوء:

«رويداً يا الآن، دع عقلك يستريح، ليرتاح جسدك.»

قال وهو يشد على معصميه:

«نعم.. كل الذين حولي يتمنون أن يحدث لي ذلك. لقد ترجيتك حتى أن أمزج شعور والتي.»

فجأة أمسك بيده الشعر في عنف جعل فلوريا تعتقد أنه سوف يقتلعها، ثم تابع يقول وأسنانه تصطك توتراً

«لا أحد يفهم. لا أحد يمكنه أن يتصور العذاب الذي أقاسيه. إني

أسمع أصواتاً، وأصغي إلى الكلمات وأتساءل باستمرار ما يمكن أن يقولوه من عدم قدرتي على رؤية التعابير على وجه محدثي. منذ سنتين وأنا أتعذب من الكذب، حتى أني بدأت لا أثق بأية كلمة. عندما آكل، أتساءل: هل طريقتي وحركاتي منفرة؟ أو هل أستطيع الوثوق بالذين يتعجبون من قدرتي الفائقة؟ إني أرتاب حتى من كلمات والدتي، لكنني أتحملها لأني أعرف جيداً أنها لا تجرحني أبداً بإرادتها لكن أنت، يا فلوريا؟»

أمسك كتفيها في قوة وقال:

«لقد اعتقدت أنك حنونة وطيبة وتصورت أنك لا تفكرين إلا بالخير، لكنك خيبت أملي نهائياً عندما اعترفت بصراحة أنك ارتشيت... كنت للبيع وأنا اشتريتك.»

تابع كلامه وهو يهزها بقوة حتى أنها اضطرت إلى حبس صرخة مؤلمة.

«يا إلهي، لا أعرف لماذا. لكن خيبة الأمل تؤلمني أكثر من أي شيء آخر. إني بحاجة لوجودك بقربي، لكني أرفض أن أتصرف كشحاذ أعمى قرب الطريق. من هي المرأة التي تزوجتها: ابنة الكاهن الناعمة، الرقيقة أو المرأة المبتذلة؟»

كانت تقاوم وهي مضطربة وخائفة من ثورته وغضبه ولم تلاحظ أنه طرح عليها سؤالاً. كانت يدا الآن تهزان كتفيها وعيناه تشتعلان غضباً. ومن خلال موجة الرعب التي غرقت بها فلوريا، استيقظت فيها الشفقة. لكنها كانت ضعيفة لا تساعدها على التغلب على الخوف الذي كان يقترب منها، خوف أصبح جنوناً عندما شدها نحوه وهمس في أذنيها

«هكذا إذاً أيها الخجل، يمنعك من الإجابة؟»

شعرت بـ«ألان» يرفعها عن الأرض ويحملها إلى السرير. أرادت الاعتراض، لكن الدموع خنقت الكلمات في حنجرتها. ولم تعد تقاوم وظلت متمددة، رافعة عينيها الراسختين عطفاً نحو الرجل، الأعمى نفسياً وجسدياً، نحو زوجها، الذي تزوجته هذا الصباح بالذات على يد والدها القسيس.

انحنى أمامها ورأت على وجهه ابتسامة متعطشة. وبعد لحظة، كان شعر «فلوريا» الأشقر ينتشر على يد «ألان» كباقة ذهب. وكان قلب الرجل قوياً وعنيفاً، ويشعر بتجاوب خجول من جانبها.

أريج الأزهار يعبق في النافذة المفتوحة. ستظل «فلوريا» تتذكر هذه الليلة التي ولد لديها إحساس، بصخب وحدة، من رجل أعمى، قلبه هو عيناه.

وبينما كانت ترتاح قربه، كانت تحاول أن تسبر أغوار عواطفها الصاخبة. الفرح والألم، الحب والخجل. هل يحبها، هل يكرهها؟ هل هو يتملكها كزوجة أو كعاهرة يدفع لها ثمن خدماتها؟

عرف «ألان» وناداها هامساً ثم شدها من جديد بين ذراعيه. فاستسلمت «فلوريا» وبابتسامة سعيدة أغمضت عينيها، تاركة السؤال من دون جواب.

٧ ـ الغيرة أخت الحب!

عندما استيقظت «فلوريا» في الصباح التالي، لم يكن «ألان» قربها. حاولت كل جهدها ألا تفكر بما حدث هذه الليلة الماضية، لكن سؤالاً ظل يقلقها: كيف سيتصرف «ألان» عندما سيواجه «فلوريا» وجهاً لوجه؟

جلست على كرسي أمام المرآة وراحت ترتب شعرها وبعدها رفيقة، ولما بصرت «ألان» تظهر في المرآة، فرحت وتركت الفرشاة تقع على الطاولة محدثة ضجة عالية.

وسألها من دون أي تأنيب ضمير:

«هل افتقدتني؟»

كان مرتدياً بذلة فاتحة اللون، وقميصاً من الحرير وربطة عنق معقودة بطريقة مثالية. وشعره الأسود مبلل بعد الحمام.

أجابته في صوت خافت وهي تحاول تهدئة نفسها:

«كان يجب أن تطرق الباب».

لشيلها الشجاع والبطولي أعطى نتائجه. فقد امتقع وجه «ألان»
بقناع القسوة والكره الغاضب، مما جعل «فلورا» تتراجع إلى الوراء وقد
اعتراها القرف من نفسها.

قال «ألان»:

«إني آسف أن أكون قد خيبت آمالك إلى هذا الحد. ولحسن الحظ فإن
العاطفة لن تتكرر».

«لا أفهم...»

«إني حريص على نفسي، لا تنقصني برودة الأعصاب. لكن ما تقولينه
الآن يعفيني من ضرورة الاعتذار منك. في أي حال أنت امرأة لا
تستحق الاعتذار، فأنت لا تبحثين إلا عن الملذات المادية، وأنا سعيد
بأن أمنحها لك وذلك لأحرر نفسي من أي دين لي نحوك».

وراح يشد على معصميه محاولاً كبت غضبه. وكان على وشك أن
يقول أكثر من ذلك، لكنه تحامل على نفسه وخرج من الغرفة بعد أن
صفق الباب وراءه بشدة. ألقت «فلورا» بجسمها على السرير في حالة
يأس. حاولت ألا تبكي، لكنها كانت عاجزة عن أن تكبت النشيج الأليم
الذي كان يهزها بكاملها.

بعد نصف ساعة، نزلت «فلورا» إلى غرفة الطعام. كان «لويس»
قد أتى قبلها. كانت قد غسلت وجهها واستعادت ضبط نفسها. لكن
روح الفروسية التي يتمتع بها «لويس» استيقظت فيه عندما لاحظ
ظلالاً تحت عينيها أثر التعب. وفي لباقة غير عادية نهض وسألها ماذا
تريد أن تأكل.

«لا شيء، شكراً يا «لويس»».

وفي الحال، شعر بالغضب من «ألان». إنه يعرف «فلورا» بما فيه

الكفاية، وهي لن تسمح له بانتقاد زوجها. لكنه قرر أن يحدث «ألان»
ويطلعه على حزن زوجته العميق.

قالت وهي تلتفت نحو الباب باستمرار، كأنها تخشى أن ترى زوجها
يدخل منه:

«أتسمح لي بفنجان قهوة؟»

«بكل تأكيد».

راح يصب لها القهوة، ثم قال فجأة:

«هل كلفك «ألان» أن تقولي لي شيئاً؟»

هزت رأسها، فعقد «لويس» حاجبيه ثم قال:

«سأذهب إلى المقطرة هذا الصباح على انفراد. لكنه ليس هنا ولن
أنتظر أكثر من ذلك. هل تحبين مرافقتي؟»

أحس بالارتياح يرتسم على وجهها المضطرب. ولم تنتظر لتكمل
قهوتها، فنهضت وانطلقت وهي تقول:

«نعم يسرني ذلك. سأصعد إلى غرفتي لأصطحب حقيبة يدي. سأعود
في الحال».

قال «لويس» وهو يضحك من نفاد صبرها:

«انتظري! هذه قهوتك...»

لكنها كانت قد خرجت من الغرفة.

كانت السيارة تقودها وسط حقول الزهر وخصوصاً الورد والياسمين
والنرجس التي يعطر أريجها الهواء. وبينما «فلورا» منغمسة في أفكارها،
كان «لويس» يحدثها بلا رابط عن صناعة العطور. ولحسن حظها لم
يكن ينتظر منها أي تعليق. لم يكن عقلها يسجل إلا القليل مما كان
يقوله، لكنها لم تمتنع من الاستغراب عندما قال لها إن ليتراً واحداً من

العطر يحتاج إلى سبعمائة زهرة.

قال «لويس» وهو يبتسم بخفة:

«في العالم، خمسة عشر شخصاً يستطيعون التمييز بين ستة آلاف نوع من العطور، ومن بينهم ستة أشخاص يعيشون هنا في «غراس»... وبالطبع، ألان هو من بين هؤلاء الأشخاص»

«وأنت، يا «لويس»؟ إنني متأكدة أنك تملك موهبتك جيداً. لكني لا أعرف لماذا تبدو كأنك لا تريد الإقرار بذلك»

ابتسم لها ابتسامة عريضة وقال:

«في كل الالتزامات التي عقدناها كان «ألان» أقوى مني. فرأيت أنه لا جدوى من منافسته. فقد أعلن منذ سنوات عديدة، أنني لن أكون سوى «رجل» من الدرجة الثانية. والد «ألان» ووالدي كانا توأمين. ورث والده القصر والممتلكات، بينما والدي كان عليه أن يكتفي بما تركوا له. وذلك لأنه بكره بعشر دقائق. كنت لا أزال صغيراً عندما قتل أبي وأمي في حادث طائرة. والكونتيسة التي أناديها الآن، أمي، جاءت بي إلى القصر، ومنذ ذلك الحين وأنا أعيش هنا»

ثم أضاف بسخرية ومرارة:

«لكن «ألان» هو الأساس وأنا لست سوى الظل»

لهجته الحزينة أثرت في «فلورا» كل التأثير. فاتجهت أمامه لتؤكد له في انشراح:

«ليس هذا صحيحاً، يا «لويس». وأريدك أن تعدني ألا تفكر هكذا بعد الآن»

لم يعد «لويس» قادراً على السيطرة على بروز أعصابه أمام اهتمام «فلورا» الصادق، وإذا به يشدها نحوه ويعانقها. لكن «فلورا»

ابتعدت عنه في الحال، وأمسكت بمقود السيارة التي لم يعد يسيطر عليها «لويس» لكنه سرعان ما اعتذر منها:

«إني متأسف، يا «فلورا». متأسف جداً. لقد تصرفت بتعريضي من عواطفي أمام لطفك وحنانك. أرجوك أن تسامحيني»

وللمرة الأولى في حياته، يتمّ بحصول ما يمكن أن تفكر فيه المرأة. وبالنسبة إليه، كانت «فلورا» تشكل كل ما كان يبحث عنه. وما يعذّبه في الأمر أنه اكتشف المرأة المثالية. لكنها زوجة ابن عمه. هذا الرجل الذي لا يشعر سوى بالغضب أو الأنانية. إنه لا شك يعامل زوجته في استهتار ولا مبالاة كما يعامل بقية أفراد العائلة. وهذا ظاهر على وجه «فلورا» بالذات.

وتأكدت «فلورا» أنه نادم على ما قام به. فسامحته فوراً وقالت له بقسوة ممزوجة بشيء من الرقة:

«إني أسامحك، شرط ألا تتصرف هكذا بعد الآن»

ارتجفت شفتا «لويس» في ابتسامة، وبدورها ابتسمت. وسرعان ما زال التوتر بينهما وراحا يضحكان معاً من صميم قلبيهما. فاضطر «لويس» أن يوقف السيارة إلى جانب الطريق، ريثما تنتهي نوبة الضحك، وما أن استعاد «لويس» رباطة جأشه حتى مسح عينيه الدامعتين وأعلن في حزم:

«شكراً، يا رفيقتي الحبيبة. لقد أرحت أعصابي. إن نهاراً من دون ضحك هو نهار ضائع»

لمعت عينا «فلورا» وتبددت أفكارها الحزينة، فردّت بابتسامة صافية:

«وأنا أيضاً كنت بحاجة لهذا، يا «لويس»»

«لا، أنا سعيد لأنني استطعت أن أقدم لك خدمة مفيدة. على أن أعانقك كلما رأيتك حزينة ويائسة»
عادت الى الضحك من جديد واستعدت للاستفادة من بقية الرحلة. كانا لا يزالان في مزاج رائع عندما وصلا الى «غراس». كانت السيارة تعبر جادة واسعة تظللها أشجار الدلب وتطل على حقول الزهر. فسأل رفيقته:
«ما رأيك بهذا المنظر؟»
«انه لا شك... رائع... غريب... انه لا أجد الصفات المناسبة لأصفه لك».
«استمعي يا «فلورا». لست في حاجة الى أن أذهب فوراً الى العمل. دعيني أطوف بك الأحياء القديمة، اني متأكد من أنها ستعجبك. بعدئذ يمكننا أن نتناول طعام الغداء في مطعم أعرفه جيداً، حيث يقدمون أفخر المأكولات اللذيذة في المنطقة. ما رأيك؟»
لم تكن «فلورا» في حاجة الى جهد لتقتنع بفكرة «لويس». كانت الشمس حارة والسماء شديدة الزرقة وكان «لويس» رفيقاً لطيفاً. وفوق ذلك كانت تخشى أن تلتقي «آلان» في الفندق. هزت رأسها ايجاباً. فتركا السيارة مقابل أحد المصانع وراحا يتمشيان برشاقة، يدها في يده. ثم تسلقا درجاً عريضاً أوصلهما الى المدينة القديمة.
كان «لويس» دليلاً رائعاً أراها المنازل العائدة الى القرن الثامن عشر، ذات الأعمدة المطلية الأقسام. وزارا معاً كاتدرائية قديمة العهد. ثم تمشيا في الأزقة الصخرية الرائعة. أمام كل باب درجات مبنية من الحجارة، وكل درجة مزينة بالنباتات الزهرية التي تتسلق حتى قارعة الطريق. وأمام بعض المنازل، النساء المسنات يرتدين الفساتين الطويلة السوداء وفوقها المآزر البيضاء، وعلى رؤوسهن قبعات من

الحرير الأبيض، يراقبن الأولاد الذين يلعبون على الطريق. كانت «فلورا» مسحورة أمام كل هذه المشاهد. وأحبت التوقف مطولاً أمام الحوانيت الصغيرة حيث يمكن للانسان أن يجد ما يريد من الأشياء النحاسية، الى الجواهر القديمة وحتى اللوحات الفنية. لكنها فوجئت عندما سمعت «لويس» يقول:
«علينا أن نتناول طعام الغداء قبل الذهاب الى العمل. أعدك بأن أصحبك مرة أخرى الى هنا ما دمت تحبين هذا الحي القديم».
تنهدت «فلورا»:
«يا إلهي! هل أنت متأكد أن هناك وقتاً لتناول الغداء؟ ألا يجب أن نذهب فوراً الى العمل، ربما ينتظرونك هناك».
لكنه كان مصراً على أن يأخذها الى هذا المطعم ويدعها تتذوق الطعام الجيد.
كان حساء السمك لذيذ الطعم، بحيث فقدت «فلورا» شهيتها لتناول الوجبة الثانية. وبدأت تقلق بعدما مرّ على وجودهما في المطعم زهاء ساعة. لكنها أدركت أن «لويس» لا ينوي الذهاب. راحت تطلب اليه مغادرة المكان فرضي مرغماً. كان «لويس» متعباً لفرط ما أكل وشرب. وكانت «فلورا» ممسكة قلبها بيديها طوال الطريق حتى وصلا أمام بناء ضخم مبني بحجارة القرميد وعلى مدخله كتب بأحرف مذهبة «عطورات ترينيل».
ولرغبتها الشديدة في الترجل من السيارة، لم تلاحظ أن سيارة توقفت وراءهما من دون أن تحدث ضجة. فالتفتت لدى سماعها صوت «سولانج»:
«ها انتما وصلتما أخيراً لقد فتشت عنكما في كل أنحاء «غراس»».
ابتسمت «سولانج» في خبث وسخرية مما جعل «فلورا» تشعر

بالقرف والاشمئزاز.

وأضافت سولانج بلهجة ظافرة:

«إن ألان خاصتي بشدة.»

تركت لويس يدخل الى المعمل، وتبعت سولانج ثم سلكتا سلّماً من الحجرة يصل الى المختبرات حيث يعمل ألان طيلة الوقت. وكانت سولانج تساعده منذ الصباح.

«عندما عرفنا أنك ولويس خرجتما، قررت أن أصطحب ألان الى هنا. كنا نأمل أن نجدكما لدى وصولنا. وكان ألان في حاجة الى أحد يساعده في وزن مختلف العطور. وبما أنك لم تكوني هنا عرضت عليه مساعدته. في أي حال، من الأفضل ألا تكوني هنا فلست يا عزيزتي على معرفة بهذه الأمور مثلي أنا. واسمحي أن أقول لك، أنك كنت أزعجت ألان بوجودك أكثر من مساعدته.»

لم ترد فلورا، فتابعت سولانج تقول:

«وثمة سبب آخر في مساعدتي له في هذا المشروع. إن الاختراع الذي يعمل عليه سيكون طرفة رائعة. كان قد وصل تقريباً الى النتيجة النهائية عندما حصل له الحادث.»

ثم أضافت بعد أن أطلقت زفرة امتنان عميقة:

«إنه عطر خاص بي.»

كانتا قد وصلتا الى أعلى السلم، لكن سولانج توقفت عن الصعود، إذ كانت مقررة أن تفهم فلورا عن الدور الكبير الذي تحتله في حياة ألان.

«ستجدين ألان مبدعاً بعض الشيء، يا عزيزتي. وخلال الغداء أظهر استياءه من غيابك الذي طال... وغياب لويس. عليك ألا تتعجبي إذا أظهر بعض الغيرة. لقد سبق له مرة أن شك في المرأة التي كان يحبها

واتهمها بالخيانة، ومن ثمّ، لم يعد يثق في أحد.»

ردّدت فلورا قائلة:

«المرأة التي كان يحبها؟ هل تعنين بذلك، أنت يا سولانج؟»

قالت الفتاة، وقد فوجئت:

«هل أنت على معرفة بذلك؟ هل أخبرك لويس؟»

هزّت فلورا رأسها وتغيّرت تعابير سولانج بشكل كامل، وقالت وفمها يرتجف:

«في الفترة كلها أفكر بالأمر كله. ألان وأنا، ننوي الزواج بعد شهر من الحادث. وليلة الحادث، جاء من يقول له إن لي عشيقاً.»

تحطم صوتها، لكنها انتصبت وتابعت بشجاعة:

«إنها كذبة بالطبع. منذ أن تمّت خطوبتي لألان، لم أفكر بأي رجل آخر. لكن ألان رفض أن يصدقني وفسخ الخطبة.»

واتسعت عينا فلورا لأنها لم تصدق ما تقوله سولانج التي أدركت بأن فلورا ستقاطعها، فأكملت تقول بسرعة:

«ومازال يقول للجميع إنني أنا التي تركته وطلبت فسخ خطوبتي، لكنه هو الذي فسخ الخطبة. ورفض أن يحدث أحداً بذلك حتى والدته. ولا شيء كان ليغيّر رأيه في قراره...»

كانت تحدق في فلورا كأنها تريد اختراق أفكارها وتابعت:

«هل تفهمين الآن لماذا عليك أن تحترسي لما تقولينه وما تفعلينه مع ألان. إنه يعي وضعه بصورة مؤلمة ويغار جداً على ما يملكه.»

ارتعبت فلورا للفكرة أن ألان رجل متوحش، ولم تفهم كيف أنه فضّل أن يثق بأقوال شخص آخر غير سولانج بدلاً من يثق بالفتاة التي ينوي الزواج منها. وكانت سولانج تبدو صادقة في كلامها

ومن المستحيل عدم تصديقها. كيف يمكن آلان الذي أحب سولانج كثيراً، أن يرفض الاستماع اليها عندما شاءت أن تقدم له البراهين؟ لماذا أصبح في هذه القساوة وهذا الشقاء؟ وسمعت فلورا كلمات والدها ترن في أذنيها: لقد أصبح هذا الرجل مثل انسان آلي لا حس فيه. والذي شعور بأنه أصيب بجرح عميق، ليس فقط جسدياً بل ان كل الأحاسيس في أعماقه ماتت.

وضعت فلورا يدها على فمها لتمنع صرخة ألم. انها تتألم من أجله، هو الذي تعذب نفسياً من تصوره لخيانة سولانج له. أكثر ضعفاً من العذاب الذي تحدثه أدوات الجراح. كانت فلورا متأكدة جداً أن لآلان أسباباً أخرى غير التي أعلنها من أجل أن يتزوجها، وهي تعرف جيداً ما هي تلك الأسباب. كان يريد أن يضع سولانج أمام الأمر الواقع، بزواجه من أي امرأة كان، للانتقام من حبيبته، التي يعتقد أنها خانته يوماً مع رجل آخر تزوج منها لأنه في حاجة الى حاجز يقيه جاذبية الفتاة التي ما زالت تؤثر فيه، وكذلك ليملأ الفراغ الذي تركته سولانج في حياته. وأمام هذا الاكتشاف شعرت فلورا بنفسها يتقطع. لقد هجرته هذا الصباح؛ لا شك أنه كان في حاجة اليها لتساعده في عمله. فاضطرته الى اللجوء الى سولانج؟

«وأين آلان؟ يجب أن أراه.»

بدت قلقة جداً مما جعل سولانج تبتعد تاركة لها المجال لأن تعبر الممر.

أضافت فلورا تقول عندما رأت أن سولانج تتبعها:

«أرجوك. أريد أن أتحدث اليه بمفردي.»

قطبت سولانج جبينها، لكن، أمام قرار فلورا، أدركت أن لا

مجال للمناقشة. هزت كتفيها وعادت الى نزول السلم، وقالت في لهجة قوية:

«عظيم، سأكون مع لويس اذا طلبني آلان.»

لكن فلورا كانت قد اختفت داخل المختبر.

وجدت آلان يتحدث مع رجل شاب يرتدي مريولاً أبيض، ويمسك بعلبة من الكرتونة سوداء، كمية صغيرة جداً من سائل ما. قناني مفتوحة حول طاولة العمل. وتذكرت فلورا ما أخبرها لويس، عن مجموعات الزيوت الأساسية التي يختار منها كل المحتويات التي يحتاج استعمالها لتجاربه. أنابيب تجربة، مصاف كيميائية، مقطرات، كلها موزعة على طاولة العمل المغلفة بألواح زجاجية خشنة.

واذا بالرجل يكلم آلان ليخبره عن وصول امرأة راح يصفها له. وشعرت بانقباض. آلان الذي رد على مساعده بدون الالتفات نحوها نظر اليها الرجل وقدم اعتذاره وخلع مريوله واختفى تاركاً العروسين وحدهما.

انتصبت فلورا في خجل مثل فتاة تشعر بالخطأ الذي ارتكبته وتحاول الاعتذار حين قالت:

«اني آسفة لتأخري. ربما كان يجب علي أن أعلمك في الصباح أني سأذهب مع لويس. لكن لماذا لم تنبهني أنك ستكون في حاجة الى مساعدتي. لم أفكر بما فعلته.»

التفت اليها، رافعاً رأسه بغطرسة وقال بنبرة متهمة:

«لم تفكري بما فيه الكفاية. أو بالعكس، لقد فكرت أكثر مما يجب؛ اني أعرف الأساليب التي يستعملها ابن عمي تجاه الجنس اللطيف. وللأسف، لن يعجبك اذا قلت ان الذوق ينقصه، لديه فقط ما يكفي

لإرضاء نزوته الغريبة. ويجب علي أن احترم رغبته. إذا كنت تودين الاستفادة من أمواله، فأنت تشجعينه، صدقيني».

كانت كلماته بمثابة صفعة على وجه فلورا. فابتلعت احتجاجها وبقيت مسمّرة جامدة مكانها، لا فائدة من التعبير عن حاجتها لتؤكد له صدقها وتقنعه بأنها نادمة على اختيار رفقة لويس بدلاً من رفقته هو بالذات. إنه لن يصدقها. لكنها كانت على وشك أن تشرح له ما حدث، إلا أن صوت آلان أوقفها عند حدها. لقد التفت نحو طاولة العمل، يبحث بيده عن شيء لم يتمكن من العثور عليه. أطلق شتيمة وقال:

«إني في حاجة الى سولانج. أرجوك أن ترسلي ورائها حالاً. لقد طلبت من أحد العمال أن يأخذها الى القصر. لا تنتظري لويس، لأن وجوده هنا ضروري، لدينا أعمال كثيرة نريد أن ننهيها. كما أني لا أريد منك أن تشجعيه على الكسل».

قامت فلورا بجهد كبير لترد عليه في قوة نفس لكنها لم تكن قادرة على اخفاء ارتجاف صوتها كلياً:

«حسناً. سأفعل ما تطلبه مني. لكن لا داعي لأن تتهمني بتعمد ازعاج أي كان. ليس في نيتي منع لويس من العمل أو منعك أنت. الى اللقاء يا آلان».

كبتت الدموع التي كانت تحرق جفونها وتابعت تقول:

«سأخبر سولانج انك في حاجة إليها، قبل الذهاب الى القصر».

خلال الأيام التالية، حاولت فلورا أن تتحاشى الالتقاء بآلان قدر المستطاع. كانت تنتظر أن تغادر السيارة التي تقل آلان ولويس وسولانج، قبل أن تتوجه الى غرفة الطعام لتناول الفطور.

وفي الصباح كانت تذهب الى حقول الزهر حيث الجبال واستقبال الفلاحين. فهاتان كانتا محببتين بالنسبة لها. آلان ولويس وسولانج لن يعودوا إلا قبيل موعد العشاء بقليل. وفلورا ستتناول طعام الغداء مع الكونتيسة. وبعدها تمضيان ساعة من الوقت تتحدثان وهما جالستان في الحديقة، الى أن يحين موعد الكونتيسة الأم في الخلود الى القيلولة الغالية على قلبها. إن العطف والحنان والمحبة التي كانت الكونتيسة تكنّها لفلورا، كانت بمثابة عزاء لعواطفها الجريحة والمهانة. وكانت بدورها توفر لها الحنان بالمقابل وذلك في شوق وحماسة عائدين الى سحر وتفهم هذه المرأة العجوز، ومن جهة أخرى الى الوحدة القاسية التي تشعر بها فلورا كلما فكرت بوالديها والحب الذي أحاطاها به.

وخلال إحدى جلساتهما، أظهرت الكونتيسة شعورها بأن الأمور بين ابنها وعروسه تبدو وكأنها تسير على ما يرام. كانتا جالستين في الحديقة قرب سبيل ماء صغير، عندما حدقت الكونتيسة في عيني فلورا اللامعتين وقالت:

«لست سعيدة، يا ابنتي. كنت أمل أن طبيعتك سوف تؤثر على آلان، لكن أرى أن العكس هو الذي حصل. إن طبعه بدأ يدخل الى قلبك».

كانت فلورا على وشك البكاء وذلك عندما أضافت الكونتيسة:

«لا تنكري ذلك، يا حبيبتي. انك تبذلين جهداً كبيراً لتظهري بمظهر المرأة المرتاحة. لكن، حتى في الراحة، يبدو وجهك الناعم متوتراً. إن ابني زوج صعب. أليس كذلك؟»

احمر وجه فلورا فجأة. فاعتذرت الكونتيسة:

«سامحيني إذا كنت تدخلت، يا صغيرتي. إني فعلاً امرأة لا يغفر لها

قالت «فلورا» وهي تحاول أن تبتسم:

«لا شيء، يا أمي. إني اعرف أنك قلقة على «الآن» وانك تريدين له كل السعادة. لكن للأسف، أخشى أنه لن يجد سعادته معي».

قالت الكونتيسة في التياع:

«آه.. فلن يجدها مع أحد. كنت أتمنى أن أرتمي «الآن» على أعتابه لزوجته. لكنه لم يعد الابن الذي كنت أعرفه، الرجل الطيب، اللطيف والرائع. وإلا لما تأخرت لحظة واحدة من القيام بذلك. لكن الولد الذي عرفته وأحببته ضاع إلى الأبد».

احتجت «فلورا» في التياع:

«لا، يا أمي. لا تدعي نفسك تصدقين ذلك! انه سيعود كما كان عندما يسترجع بصره. إذ في وسعنا اقناعه بأن عملية أخيرة ضرورية له».

تألق وجه الكونتيسة وقالت:

«إذاً، يجب أن نحاول ذلك، يا حبيبتي. يجب أن نجد طريقة لاقناعه. أنا وأنت يمكننا إيجاد هذه الطريقة».

وأخذت الكونتيسة يد «فلورا» بيدها الناعمة. وشعرت المرأة الشابة بأملها ينتعش كأعجوبة. وذلك بفضل الجهد الذي قامت به لتبدد حزن المرأة العجوز. وبنشاط متجدد، استجمعت «فلورا» أفكارها. لا بد أن هناك عاهة أو صدعاً في بنية «الآن». وعليها أن تكتشفها مهما كلف الأمر. كان على وشك تدميرها. وفي محبتها له، أتاحت له المجال ليحقق هدفه. لكن، اذا تمكن من تحقيق سعادته في تدميرها، فان التضحية تكون عندئذ مبررة.

وسمعت صوت الكونتيسة:

«كم يكون ذلك رائعاً أن أستعيد ولدي. كان «الآن» يذكرني بزوجي

العزيز بصورة مستمرة. إنه يشبهه تماماً حتى انه يخيل لي أنني لم أخسر زوجي. ولهذا السبب أرى نفسي حزينة جداً من جراء الحادث الذي أفقد «الآن» لا بصره فحسب بل طبيعته المحبة والكريمة».

وأضافت حالمة:

«زوجي كان رجلاً متقلب المزاج. ينتقل بسرعة من الحنان إلى الغضب وفي ظرف ثوان قليلة يمكن أن تصيبه نوبة غيرة شديدة التخريب والتدمير».

ضحكت بعض الشيء. فالذكريات تجعل عينيها حالمتين:

«لكن بعد أن تهدأ نوبته، كان يبدو نادماً ومستحق العطف. وكان يخجل من فقدانه رزانة أعصابه ورباطة جأشه وكان يتحول دائماً لطلب المعذرة.

«يجب أن تعتبري ذلك بمثابة مديح لك. لو لم أكن أحبك، لما كنت غيوراً إلى هذه الدرجة. أي امرأة يمكنها مقاومة هذا المنطق؟ كان مؤثراً جداً، وغير قادر على مقاومة رغباته الطبيعية..»

أطلقت زفرة عميقة وأضافت:

«إن «الآن» مختلف عن والده. فالغضب والحقد البارد والغيظ كلها تسيطر عليه إلى درجة تجعلني أتساءل ما إذا كان محرراً من أية عاطفة..»

وخلال فترة غير قليلة، حاولت في صمت التخلص من توترها. فجأة تنهدت الكونتيسة فرفعت «فلورا» عينيها ورأتها تضحك. في ضحكها خيبة كانت تنعكس في عينيها.

«الله وحده...»

راحت الكونتيسة تفرك أصابعها في عصبية ونشاط كأنها لا

زالت شابة. ثم نظرت الى فلورا التي كانت متعجبة وراحت تضحك، وتابعت كلامها قائلة:

«يجب عليك أن تجعل آلان يغار عليك»

تلعثمت فلورا وهي تقول:

«أن يغار! لكن لماذا... كيف؟»

أجابت الكونتيسة في لهجة حازمة:

«لأنك، بهذه الطريقة، ترهنين له وفي الوقت نفسه لك أيضاً، أنه ليس بالفعل الانسان الآلي وفاقد الاحساس»

وراحت تشدد على أقوالها:

«والغيرة هي أخت الحب. وعندما توقظ الأول، تكون قد أيقظتا الثانية معه»

شعرت فلورا أن قلبها ينقبض. كل شيء يبدو سهلاً في نظر الكونتيسة. لكن الوضع بينها وبين آلان أكثر تعقيداً مما تظنه المرأة العجوز. ففي رأي الكونتيسة، أنه يكفي إخراج آلان من اليأس الذي نتج عن الحادث، فهي تجهل أنه لم يكن للحب أي دور يلعبه في هذا الزواج الغريب. ولا يمكن لفلورا ألا تفي بوعدها لآلان بعدم اطلاع الكونتيسة على حقيقة زواجها. وبهدوء قالت:

«اني أخشى أن يكون مشروعك هذا عديم الفائدة، يا أمي. لن يغار آلان عليّ أبداً. ليس هناك أي سبب يجعله يغار ما دام يعرف أني أمضي وقتي معك أو في الحقول»

«نعم، يجب أن ندخل لويس في خطتنا هذه... اني اعرف تماماً أن لويس سريع النكتة، وهو حاضر باستمرار ليلعب الدور المطلوب منه. نعم، يجب علينا أن نستشير لويس بالأمر»

كان يبدو لفلورا أن عليها أن تقنع الكونتيسة بعدم جدوى تنفيذ هذا المشروع. لكن قبل أن تجد الحجج اللازمة، قالت الكونتيسة:

«يجب إقامة حفلة في القصر»

نهضت الكونتيسة وأخذت تمشي طولاً وعرضاً وقالت:

«أصدقاؤنا وجيراننا في انتظار أن تتيح لهم المجال لرؤيتها بصحبة آلان، وليتعرفوا اليك. أنت الكونتيسة الشابة، يا ابنتي العزيزة. لقد أثرت موضوع الفقد واعتذرت لما قلت أنكما لا تزالان في شهر العسل. لكنهم يعرفون الآن أن آلان يتردد يومياً على المصنع ولا مجال لرفض إقامة حفلة عشاء عندما أخبره بذلك»

توقفت ثم سألت فلورا فجأة:

«والآن اخبريني، هل عندك الجرأة لذلك؟»

لم تجد فلورا الشجاعة الكافية لتهدئة آمالها وحماسها. كانت تنظر الى حماتها من دون أن تقول شيئاً. ولما صفقت الكونتيسة بيديها علامة نفاذ الصبر، همست فلورا تقول:

«عظيم، اذا كنت تعتقدين أن ذلك يعطي النتيجة المرجوة... لا مانع من التجربة»

استرخت العجوز وقالت ببساطة:

«لن يتأخر آلان في أن يجد فيك كل اللطف والسحر، يا عزيزتي. ولا شك أننا متى وصلنا الى غايتنا، فلن ندعه يشفق على حاله وسوف يرضى حينذاك باستعادة بصره، إذاً لن يعود قادراً على تحمل أي عائق في طريقه»

قالت فلورا بصوت ضعيف:

«آه، يا أمي، أمل ألا تكوني مخطئة. إني أود أن يحصل ذلك من كل

قلبي.»

انحنت الكونتيسة ووضعت يدها على ذقن فلورا وشاهدت الدموع في عينيها وقالت بلطف:

«لا تذرفي الدمع، يا صغيرتي، إلا اذا كانت دموع الفرح. هيا امسحي عينيك. هناك شيء أريد أن أريك اياه.»

نهضت فلورا فتأبطت الكونتيسة ذراعها وأدخلتها الى القصر ثم قالت:

«صباح اليوم، طلب مني آلان أن أريك جواهر العائلة، كي تختاري منها ما يناسبك. كنت قد نسيت، لكنني تذكرت الآن. انني متأكدة من انك توافقين على أن هذه البادرة من جانب آلان بشير خير.»

لا للأسف. هذا ما كانت فلورا ترغب في قوله، وهي تتبع الكونتيسة في اتجاه المكتب. إن الكونتيسة لا تعرف أن آلان يريد من إعطائها الجواهر تسديد الدفعة الأولى من الدين الذي يعتقد أن فلورا تستحقه.

٨ ـ متحدان... منفصلان دائماً!

اللآلىء البيضاء، كلون الحليب، متناسقة على الوجه الأكمل، وتشكل حبات عقد طويل يصل الى الخاصرة، وطقم من المجوهرات المصنوعة من الماس واللؤلؤ مؤلف من تاج ونضد وحلى وأساور [illegible] على المخمل الأسود، وأنواع مختلفة من الحلى، فالياقوت الأسود، والفيروز الأزرق، والزمرد، مركبة على الذهب الناعم، تشكل مجموعة متناسقة من الخواتم والعقود والأساور والحلق والبروشات. لقد أخرجت الكونتيسة كل ثروتها من صندوق مجوهرات كان مخزوناً وراء جدار في غرفة المكتبة، وفتحت معظم العلب بعد أن وضعتها على الطاولة أمامها، وأمام هذه الروعة، تراجعت فلورا الى الوراء، الى حد الاشمئزاز.

كان يمكن ان تفرح أمام غنى الألوان، وأمام نضارة الرسوم في هياكل الحلى. لكن بالنسبة إليها، كل لؤلؤة هي دمعة، وكل حبة ماس تذكرها بقسوة عيني الآن.

قالت الكونتيسة وهي تحني رأسها:

«أية حلية تفضلين، يا جينيفر؟»

تمتمت المرأة الشابة:

«إنها كلها رائعة حقاً، يا أمي. إنها شديدة الجمال إلى درجة أني لا أستطيع وضعها علي. سيتملكني خوف كبير إذا أضعت شيئاً منها».

«هيا إذاً أنت الكونتيسة تريفيل، وستحتفلين بسرعة ارتداء المجوهرات الثمينة والقيمة. إن جيراننا يستقبلون كثيراً وعليك أن تلبي دعواتهم. لنرى، ونقرر معاً أي نوع من الحلي يناسب جمالك الناعم».

لكن برغم رغبتها القوية في إرضاء الكونتيسة، لم تكن فلورا قادرة على أن تظهر حماساً حقيقياً. وسرعان ما شعرت المرأة العجوز بعدم اهتمام كنتها بالأمر. وفي النهاية هزت الكونتيسة الأم كتفيها وأعادت الحلي إلى علبها وأغلقتها بخشونة، تعبّر بها عن خيبة أملها.

شعرت فلورا بأنها جرحت شعور حماتها وأرادت أن تخفف من خيبتها. وفي إحدى العلب المخفية في طرف الصندوق وجدت ميدالية صغيرة من الخزف الأزرق، تحملها سلسلة ذهبية رقيقة. مدّت فلورا يدها مصطنعة اللطف وتناولت الميدالية وقالت بنبرة نادمة جعلت الكونتيسة تضحك بالرغم منها:

«هذه... هذه الجوهرة تعجبني».

تناولت منها الميدالية وقالت:

«هذه! إنها تقريباً من دون قيمة تذكر، يا ابنتي! لقد أعطاني إياها لويس منذ سنوات عديدة، في مناسبة عيد زواجي. وأعتقد أنه منذ ذلك الوقت والميدالية هنا».

كانت الميدالية تتأرجح في طرف السلسلة. تحمل رسماً أزرق تحت

تأثير نور الشمس.

قالت فلورا بارتباك:

«هذا يعني أن عليك أن تحتفظي بها داخل العلبة».

«كلا. إني مغتبطة لأنك وجدت شيئاً يناسبك يا ابنتي الصغيرة الطرية».

كانت تشير إلى نقش على الميدالية يقول: «منفصلان، لكن متصلان دائماً».

شعرت فلورا بقلبها ينبض بسرعة هائلة. يا لهذا التذكار الذي أرادها أن تختار بالضبط ما يعبّر بعمق عن الوضع الحالي بينها وبين آلان.

الثوب الحريري الذي كانت ترتديه في السهرة، كان في حاجة إلى شيء يخفف من حدته، وكانت الميدالية الصغيرة تؤدي هذا الدور بشكل رائع. وبدا لها أن كل زفرة تخرج من صدرها هي صدى للكلمات المنقوشة على الميدالية التي لا تراها العين بقدر ما هي محفورة في القلب بحروف نارية.

«منفصلان ... متصلان دائماً».

آلان وهي كانا في ليلة عرسهما إنساناً واحداً. لقد نبض قلب زوجها فوق قلبها في حرارة، لا تزال حتى اليوم، تترك أثرها على شفتيها المرتجفتين، وفي حسها المتشوق. وإذا لم تبق لها إلا ذكرى تلك الليلة فلن تندم. حتى وإن اضطرا في المستقبل إلى أن يبتعدا، فستظل لحظات الانصهار الكلي ملازمة إياها إلى الأبد.

أغمضت عينيها لتبعد عنها تعاستها المنعكسة في المرآة. وظلت جالسة لفترة طويلة، تحاول أن تحبس الدموع التي تتدفق من عينيها

دخل «آلان» من دون ضجة، وعندما سمعت «فلورا» صوته انتفضت مذعورة:

«كنت مع والدتي منذ برهة، وأخبرتني أنه تم تعيينك أمينة الحلي والمجوهرات»

التفتت «فلورا» إليه ومن دون وعي وضعت يدها على الميدالية الصغيرة الزرقاء، كأنها تريد تحميها من الخطر، وقالت بصوت خرج من حنجرتها الجافة:

«بالعكس، إن الحلي ذات جمال رائع، وثمن باهظ لا يمكنني وضعها من دون خوف من إضاعتها. يجب يا «آلان» ألا تنسى أني فلاحة من قرية صغيرة، ولست معتادة على هذا الغنى. أرجوك أن تفسح لي المجال حتى أعتاد ذلك».

كانت تنتظر منه جواباً ساخراً، لذلك حبست أنفاسها، لكن صوت «آلان» كان يحمل قليلاً من الحنان:

«أيتها الفتاة المسكينة البسيطة، لماذا تعتذرين عن هذا المنطق؟»

وأمام هذا اللطف الذي لم يعوّدها عليه، اتسعت عينا «فلورا» الزرقاوين للمفاجأة. اقترب «آلان» منها، فتراجعت إلى الوراء بعنف جعلها تسقط الكرسي الصغير، الذي اصطدم بالطاولة، فتلاطمت قوارير العطور محدثة ضجة عالية. وحينئذ، وضع يده في جيبه، كأنه يعلن الهدنة.

شعرت بالندم وتلفتت منه، تنوي ملاطفته لإزالة شعوره من دون كلام. لكن وجه «آلان» الجميل الداكن تجهم، واختفى الحنان، التزمت شفتيه وقال:

«لا داعي للتهرب مني! لقد جئت لأراك بناء لطلب أمي التي ترى

أني أهملك وهي تجهل أنك تفضلين الابتعاد عن اهتماماتي، ولا أريدها أن تعرف هذا».

أرادت الاحتجاج لكنه تابع يقول:

«لقد أجبرتني على قبول مشروع آخر لا يعجبني أيضاً، لكني وعدتها بأن نشترك فيه. سوف نقيم حفلة عشاء كبيرة من أجل أن يتعرف أصدقاؤنا وجيراننا إلى الكونتيسة الجديدة، والتي ستساعدك في تنظيم كل شيء. إنها مضيفة رائعة، وليس لك سوى أن تتبعي نصائحها. سأنهمك في أعمالي داخل المختبر في هذين الأسبوعين ولن يكون في استطاعتي مساعدتك، لكني متأكد أنك ووالدتي سوف تديران الأمور بنجاح. وبذلك تطمئن والدتي على مواقفي تجاهك، وستكون، بالنسبة إليك، فرصة رائعة للتعالي وشعبك الجديد. وفي المقابل، الجميع يكونون فرحين».

رأت «فلورا» تحول نفسها وهي تحدق فيه. إنها لم تر في حياتها إنساناً أقسى منه. ويبدو أنه حتى وجود «سولانج» الدائم واستعادة صداقتهما القديمة غير كافيين لإزالة التعاسة من نفسه.

«سوف ننزل معاً إلى قاعة الاستقبال».

وقدم لها ذراعه لتتأبطها. ومن دون همسة وضعت أطراف أصابعها على كم بذلته البيضاء، فتقلصت عضلات ذراعه تحت تأثير هذا الضغط الخفيف، كأنه يحاول كبت أي ردة فعل يمكن اعتبارها دليل صداقة.

وخلال العشاء، لم تستطع «فلورا» التوقف عن التفكير بالخطة التي رسمتها الكونتيسة. في النهار التالي فقد أطلعت «لويس» على الأمر وما إن جلست «فلورا» على الطاولة حتى بدأ «لويس» يحادثها.

انحنى صوبها وهمس نظره في نظرها وهمس قائلاً:

«هذا مديح منك والطرا، أنك أردت ارتداء هذه الدالية، التي هي إسهام متواضع مني لتكسوز تريغيل على هذه الدالية بالذات أعجبتك، أو لأنني أنا من اشتراها وأنت تعرفين الثمن الذي اختاره أناه»

توجهت فلورا ولم يحسن لها الوقت لتجد رداً عليه، فأخذت الكونتيسة الكلام عنها، ومن دون أي ارتباك في صوتها، أعلنت في صوت عالٍ:

«أعجبت فلورا هذه الدالية، منذ اللحظة التي وقع نظرها عليها، يا لويس. فقد أعطت كل ما تبقى من جواهر لتسالح جوهرة صغيرة أهديتني إياها منذ زمن بعيد. هل أنت حاقد علي لأنني تنازلت عنها لفلورا؟»

«أنا، بالعكس، إني مبتهج، يا أمي. لقد أعطت فلورا الحياة لتلك الميدالية التي اشتريتها لأنها معلقة على صدرها.»

احمرّت فلورا بشدة، ولم تستطع تجاهل آلان، الذي كان يبدو عادتاً يمضي إلى الحديث بدون اهتمام. لكن فلورا لاحظت أن يديه تحاولان السيطرة على النفس. أما سولانج، الرقيقة باستمرار، فقد قالت في نبرة ساخرة وعيناها تحدقان في وجه فلورا المحمرّ خجلاً:

«يا فلورا المسكينة! لا داعي للارتباك إلى هذا الحد. إن لويس يحب التنكيت ويجب عدم اعتبار كلامه جدياً، خاصة من فتاة بسيطة مثلك.»

ثم التفتت نحو لويس وأضافت:

«لكن يجب الاعتراف أن مراجعة له تأثير سعيد إذ وجنتي فلورا الورديتين وعينيها اللامعتين، تجعلها جميلة. أليس كذلك؟»

ومن دون أن تدري، كانت سولانج تشارك في المؤامرة وكانت الكونتيسة الأم مبتهجة لهذا الأمر فقالت مؤيدة:

«كلامك صحيح يا سولانج.»

ثم وجهت كلامها إلى لويس:

«يبدو يا لويس، أنك تملك موهبة إيحاء فلورا فهي تبدو شديدة السعادة من خلال الطاولة.»

«من الشائل، إني أتمتع باستمرار بالذوق الرفيع لأسعاد النساء الجميلات، وإن جمال فلورا هو نادر وفريد من نوعه.»

وفي عمق مقاعده، وجه حديثه إلى آلان:

«أليس مزعجاً للغاية، يا ابن عمي العزيز، لأمثالك أن يملك زوجة ذات جمال يحسده عليها كل الرجال، وهو غير قادر من الاستمتاع بها كلياً؟ لو كنت مكانك لما تعبت يوماً من الاستمتاع بالمرأة التي أملك.»

قالت الكونتيسة في نبرة احتجاج:

«لويس!»

كانت تريد الهادئ أنه تعب بعيداً لكنه اكتفى في هز كتفيه من الشعر، بأن نعم وتابع يقول:

«هل أنت من رأيي، يا آلان، لو أنك متألم من التكبت والحرمان؟ لو كنت مكانك...»

وبحركة مقصودة، طوى آلان فوطته. كانت فلورا تراقبه في نظرة قلقة عندما قال بصوت مزعزع:

«لو كنت مكاني، يا لويس! لكن هذه الأمنية ليست جديدة بالنسبة إليك، أليس كذلك؟ إنها تعذبك منذ الحياة لو كنت مكاني. لسكنت

لثروة أعمالنا وكل الأموال التي تريد صرفها، وكم نحن سعداء أنك لست مكاني. لن يتسنى لك المجال أن تضع يدك على الأموال، وعلى القصر... ولا حتى على زوجتي».

كانت عيناه كأنهما في شعلة باردة.

تهجّمت فلورا العبارة التي اكتشفتها فجأة بين الرجلين ترجوهما:

«لا، يا آلان. يجب ألا تتكلم بهذه اللهجة! أنت تهيئ حظ. يحاول لويس أن يقيده...

بنفسه».

كان يتحداها أن عاكسته. كانت تريد تيني هذا التحدي. ربما كان لويس إنساناً ضعيفاً، لكنه ليس الرجل الفاشل كما يراه آلان.

لكن الكونتيسة تدخلت:

«آلان، لويس!»

كان صوتها حاداً كالحديد.

«سوف تنهيان هذا المشهد المؤسف، في الحال».

لكن، في غضب لا يراعي شعور أحد، نهضا وجهاً لوجه، كأنهما على استعداد للمبارزة، بينما كانت الكونتيسة تنتظر أن يطيعا أمرها. كانت عينا سولانج تلمعان فرحاً، إنها أمام تجربة لن تشهد مثلها في مجتمعها المتمدن. وفي هذا الصمت الثقيل، تهدّمت فلورا، فالتفتت لويس نحوها، وأمام عينيه بدا متحيراً ونادماً. فقالت متمتمة:

«لويس، أرجوك!»

فابتلع غضبه وضحك، وبنبرة خفيفة، أعلن عن انهزامه وقال:

«سامحني يا آلان. إن كلماتي غير لائقة فأرجو أن تعذرني».

وبدلاً من الاسترخاء، خاب أمل آلان لدى رؤية فريسته تهرب.

منه. اكتفى بأن هز رأسه المتغطرس ومدّ يده في الهواء، سولانج حتى تقوده خارج الغرفة.

وعندما أغلق الباب، ترك لويس جسده يقع على الكرسي، منهوك القوى، وقال بارتياح:

«أوف. لقد انتهت اللحظة أنا ستبارزه».

التفت نحو الكونتيسة التي كانت ما تزال مضطربة:

«أمي، أرجوك. لقد كانت عندك أفكار أخرى، من أجل إثارة انفعالات آلان. أرجوك ألا تشركيني فيها. أفضل مئة مرة أن أضايق قراً ذاتياً على أن أعيش من جديد لحظات كهذه».

لكن الكونتيسة لم تبدُ فرحة. كانت ترتجف. جلست على الكرسي وقالت بصوت قاسٍ ومتهم:

«لقد أظهرت قسوة كبرى تجاه آلان يا لويس، من دون شفقة ومن قصد... وهذا لن أسامحك عليه».

ثم أضافت بصوت واضح:

«طفل، يا لويس».

وأمام نظرات الكونتيسة المليئة باللوم والتأنيب، احمرّ وجه لويس وراح يرتجف بانزعاج. أراد أن يرد عليها، تردد يده في شعره وراح يباشر الدفاع عن نفسه إذ قال:

«أتعرفين أن الطريقة الوحيدة لأخرجه من قوقعته هي أن أواجهه بما يحتاج ويعتقد وحسب ما تهيئته منك. هذا هو الهدف المفروض أصابته».

ببطء وصمت، فلورا يدها على كتفه معبّرة عن تعاطفها معه ثم قالت:

«إن تصرفك رئيس الكلام الذي نطقت به هو الذي جعل التوتر يدخل إلى قلب أمي»

ثم أضافت والقشعريرة تخالجها:

«انه ثري، يوسف، ومن رائع أن أراه على استعداد لخوض معركة مع ابن عمه.. الأعمى»

اصفر وجهه وقال:

«اني أفهم»

وبعد صمت قصير استطرد يقول:

«ان تهكمه ينسيني أنه اعمى، أحياناً، عندما أراه ينزل السلم مسرعاً أو عندما يتوجه نحو مقعده من دون تردد، اتساءل عما اذا كان أعمى بالفعل، أو انه يصطنع ذلك ليخدعنا»

أرادت مقاطعته، لكنه هز كتفيه:

«نعم، أعرف، أعرف. هذا مستحيل: إنه أعمى حقاً، وانني خجول لمحاولة تحديه. لكن ما اطلبه منكما هو أن تشرحا لي، كيف في استطاعته ان يسير أمامي بهذه السهولة؟ هل يملك حساً اضافياً لا نملكه نحن؟»

أجابت لورا ببساطة:

«انه يعد..»

ردد لويس باستغراب:

«يعد؟»

«نعم وفي أي مكان يتنقل بهذه السهولة والطمأنينة، يكون قد عد سرياً الخطوات مسبقاً، حتى انه يعرف تماماً كم هو في حاجة الى خطوات ليحقق هدفه»

بقي لويس متحجباً كالأخرس، فقالت لورا:

«نعم، لقد سمعته، ليلة بعد ليلة، عندما يعتقد أن الجميع نائمون، يسير في الممرات وعلى الدرج في غرفته... ويعد من دون توقف. ثم يعود ويظل يعد، الى ان يتأكد من قدرته على التنقل بدون أن يخشى التعثر»

قال لويس في صوت مجروح وعيناه تحدقان في وجه لورا الهادئ:

«يا إلهي، ما هذه المعاناة.. وما هذه الشجاعة»

تدخلت الكونتيسة وقالت:

«ما من احد يشك في ذلك. حتى ولو كانت فيه بعض النواقص، فإن الآن وهي أنه شجاع ما فيه الكفاية»

ولحظة قصيرة كانت لورا تخشى أن تفقد اعصابها التي تحافظ عليها لكن المرأة العجوز رفعت رأسها ووجهت للجميع ابتسامة عريضة وقالت:

«حقاً، يا اولادي، ما حدث معنا الليلة يجب ألا يفسد مخططنا في الغداء»

استعاد لويس طبيعته وقال وهو يحيي الكونتيسة تحية عسكرية:

«اتفقنا، أيتها الكولونيل»

لكن عندما تطلعت الكونتيسة الى لورا، احمرت المرأة الشابة وتمتمت قبل أن تنزل بصعوبة:

«اني.. اني سأحاول.. ما لست متأكدة، يا أمي، من ان هذا سوف يساعد الآن»

٩ ـ زهرة الحب

كانت فلورا تذهب يومياً الى حقول الزهر المنبسطة كأنها مزروعة منذ ثلاثة أسابيع وهي منهمكة في مساعدة الكونتيسة على تنظيم حفلة العشاء التي جاء موعدها هذا المساء بالذات. كما كانت في الوقت نفسه ترتبط من جديد مع الأشخاص والأصدقاء الذين تعرفت اليهم من بين العاملين في الزراعة. أحبها الفلاحون وكانوا فرحين ومسرورين للأيام التي منحته فلورا لهم ولعائلاتهم وكانت تشعر عندما تكون معهم كأنها بين أهلها.

ان هؤلاء القرويين يحبونها بإخلاص، يفتخرون بكل شيء من أعمالها لا يعرفون لماذا. ربما لأنها خشبة خلاصهم أو لأنهم اكتشفوا ان المحبة أعظم من الولاء.

انها فترة ما بعد الظهر، والطقس حار جداً. ابتسمت فلورا وهي تمشي في خطى سريعة لا تذكرت، انه منذ نصف ساعة، أمرتها عمتها الكونتيسة أن تذهب الى غرفتها وتستريح، لأنها بدت متعبة

وشاحبة الوجه. حاولت فلورا اقناعها بأنها تشعر بنشاط وقوة. لكنها سرعان ما خضعت لإلحاح عمتها وصعدت الى غرفتها لتتخلص من الملابس الزائدة التي كانت الكونتيسة تلبسها إياها. لكن الطقس جميل. السماء زرقاء مشمسة والنظر المحيط يشبه باقة العروس محيط بها دائرة خضراء من أشجار السرو العالية. فلم تتمكن فلورا من مقاومة رغبتها الملحة في الخروج الى الطبيعة.

كانت الأفكار تتجاذبها. ماذا أريد من هذا الرجل. أنا أعرف أني معجبة وأعرف أني أحبه. ومع ذلك أتردد. لقد تزوجت منذ شهر تقريباً. وخلال الأسابيع الثلاثة التي مضت، لم تشاهد الآن إلا نادراً. كانت تلمحه كل صباح من نافذة غرفتها، عندما يتوجه الى العمل. وكذلك تراه في المساء من جديد لكن متأخراً. منذ الاصطدام الذي حصل بينه وبين لويس، تعود أن يتناول طعام العشاء في برفقة سوزانا، بحجة أن عمله الكثير والملح لا يسمح له بالوصول الى القصر في وقت العشاء.

وهكذا فإن مشروع الكونتيسة الطموح لم ينجح. أما فلورا فقد اقتنعت خلال الأسابيع الماضية أن الآن نادم على اندفاعه الذي جعله يتزوج فتاة شابة لا يعرفها.

وها هي أكملت فلورا طريقها في الاتجاه الصحيح. وإذا بها تسمع أصوات الترحاب والبهجة الصادرة من الفلاحين. ولمع وجهها العمال ووقفت عليهم التحية. فهي تشعر بارتياح عندما تكون مع هؤلاء الأصدقاء الجدد.

أمضت ساعة مرحة وهي تتنقل بين صفوف الشجيرات، تثرثر مع العمال الذين لا يتوقفون عن العمل. بعضهم، في اللغة الانكليزية

ضعيفة، يقصون عليها آخر أخبار شلالاتهم ويتفاهمون معها كلما عجز أحدهم عن إيجاد الكلمات اللازمة في لغة لم يتعودوا النطق بها. ومع مضي الوقت، شعرت «فلورا» بالعوارض الأولية لصداع بدأ ينخر رأسها. وفي الوقت نفسه بدأت سقوف الجبال تخف إذ إن القطافين يأخذون وقتاً للراحة كل يوم في هذه الفترة من بعض الظهر عندما تكون الحرارة في أوجها. وبلغت «فلورا» دعوة الأم «فيكتوريا» إلى تناول الطعام معها.

رفضت تناول الخبز والجبنة الحادة والبصل، لكنها تناولت فنجان قهوة. كانت الأم «فيكتوريا» تحدق فيها وهي تشرب، فلاحظت شحوب وجهها وأنبتها لأنها لم تكن تضع قبعة على رأسها.

«شمسنا أكثر حرارة من شمس «انكلترا» يا «كونتيسة».

ثم صرخت في صبي كان قد راكضاً:

«جان - بول»! إذهب واسأل والدك، إذا كان في امكانيه أن تعير قبعتها الجديدة إلى الكونتيسة. بسرعة! قل لها إنني أنا التي أرسلتك.»

احتجت «فلورا»:

«لا، ليس هذا ضرورياً...»

لكنها سمعت الفتاة الشابة، ذات العينين السوداوين الواسعتين اللتين لم تتوقفا عن التحديق في وجه «فلورا» تقول في خجل:

«إن الأم «فيكتوريا» على حق، يا سيدتي الكونتيسة ... أن تقضي لون بشرتك الناصعة.»

ووافقت المجموعة التي تحيط بها على ما قالته الفتاة، فاحمرّ وجه «فلورا» بشدة. وتدخل أحد القطافين ليمدح «فلورا» قائلاً:

«إن اسمك يليق بك، يا سيدة «فلورا». وأنا سمعت في ثاني الأول أن

بين كل الأزهار التي تنبت من حولنا. أنت أعطيها وإذا الآن السبب للاحتفال. ما دام السيد «الآن» أبس يجاريه. لولا الاحتفال لغدرو أجل زهرة إلى عائلة «ترغيل» وثانياً اختراع أرق عطر لم يسبق لعائلة «ترغيل» أن صنعت مثله.»

وضع أصابعه على شفتيه وراح يقبلها ويقول:

«آه، إني تعبر حقاً سيدتي «الكونتيسة».

هكذا إذاً، أبس «الآن» أخواته. ولم تجرؤ «فلورا» أن تقول لهؤلاء الرجال أن العطر ليس لها وأن «لسولانج» الحق فيه أكثر منها

فجأة، اختلطت الرؤى السعيدة التي تحيط بها، بكثافة السحب في الفضاء، ولم تعد تراهم إلا من خلال الضباب الحار. إن عطر الزهر الثقيل يختلط برائحة الأجبان والثوم، وشعرت بعدم قدرتها على التنفس والأصوات حولها بدت وكأنها زاعقة وضجيج. أخيراً، انزلقت من مقعدها وتركت الغياهب تبتلعها وتجرفها في موجة لا ترد.

عندما استعادت وعيها، كانت ممددة على فراش صغير في أحد منازل القطافين. الغرفة مظلمة، والصمت يعم. واللحظة ما تبادلت «فلورا» أين هي. أرادت أن تنهض، لكن وجه الأم «فيكتوريا» المتجعد ظهر فوق رأسها.

«لا تتحركي يا ابنتي. انتظري قليلاً. دعي الوقت يساعدك لتستردي قواك.»

تركت «فلورا» رأسها يقع على الوسادة وقالت:

«معك كل الحق في أن توبخيني، أيتها الأم «فيكتوريا». لا شك أنني تعرضت إلى ضربة شمس.»

قالت الفلاحة العجوز وهي تهز رأسها معبّرة عن القلق:

نعم. كان علينا أن ننتبه مسبقاً إلى تأثيرات الشمس. وما سيقوله السيد "الكونت" عندما يطلع على إهمالنا. لا أجرؤ أن أفكر بذلك. إننا نستحق أن يقبض علينا، لأننا أغبياء.

"آه، إنك لا شك تمزحين."

وحاولت "فلورا" من جديد الجلوس. لكنها شعرت بدوار. فعدلت عن ذلك. وراحت تحاول أن تخفف عن العجوز المخاوف التي تساورها فقالت في صوت خفيض:

"أنا الوحيدة المسؤولة عما حدث لي. ما كان ينبغي أن أمشي عارية الرأس في هذا الحر اللاهب. وبعد أن أستريح قليلاً، سأعود إلى القصر ولا أجعل أحداً يعلم ماذا حدث."

صرخت العجوز وقد شحب لونها:

"يا إلهي! ليس ذلك وارداً، يا كونتيسة! إن أحداً من رجالنا سيقودك إلى القصر. يكفي ما عانته من حالتنا ولن يعتبر منا أي تقصير أو إهمال مرة أخرى! عندما تشعرين بالراحة وتصبحين على استعداد سيأخذك إلى القصر في إحدى الشاحنات."

لم تستطع "فلورا" اقناع المرأة العجوز بالعدول عن رأيها فقد أصرّت على موقفها وهكذا بدلاً من أن يكون في استطاعتها أن تدخل إلى غرفتها سراً من باب خفي، كما كانت تنوي أن تفعل، أنزلت الشاحنة "فلورا" أمام القصر محدثة ضجة أيقظت الجميع.

خرج الخدم لتوهم. لشرح لهم السائق ما حدث "لفلورا" وفي أثناء ذلك ظهرت الكونتيسة الأم على إحدى الشرفات وراحت تسأل بدورها طالبة تفسيراً مفصلاً. ألقت نظرة إلى وجه "فلورا" الشاحب وأعطت للحال أوامر واضحة. وقبل أن يتسنى "لفلورا" أن تعي ماذا يحدث،

وجدت نفسها بين أيدي أشخاص يحملونها ويضعونها في سريرها ويغلقون الستائر لإبعاد النور القوي. فشعرت بألم بالغ يحفر في رأسها وبكت كالطفل.

لم تلمها الكونتيسة. لكنها كانت قلقة على "فلورا" وهي تتأمل وجهها الشاحب من شدة الألم. فقالت لها:

"حاولي أن ترتاحي، يا ابنتي الصغيرة. فلن يتأخر الطبيب عن المجيء."

لم تستطع "فلورا" الكلام، كانت تتنفس في عمق وتغمض عينيها.

خرجت المرأة المسنة من الغرفة على رؤوس أصابعها وأغلقت الباب وراءها من دون أن تحدث ضجة.

استيقظت "فلورا" بعد ساعات طويلة. وشعرت بأن الألم زايلها وبحذر رفعت رأسها، ثم تركته يسقط في الوسادة وأحست بارتياح للحظة. تساءلت ما إذا كانت حالتها ستمنعها من حضور حفلة العشاء. بالنسبة إليها، لن تستفيد من ذلك شيئاً. لكن بالنسبة إلى الكونتيسة، فستكون حزينة لإضاعة كل هذه الاستعدادات التي استمرت أسابيع عدة.

تحركت في سريرها، وارتجفت عندما سمعت صوتاً سائلاً في عتمة الغرفة:

"هل استيقظت؟"

نظرت خوفاً نحو مصدر الصوت، وشاهدت "آلان" واقفاً قرب النافذة.

أجابت بصوت ضعيف وكأنها تلميذة في انتظار التأنيب:

"نعم. شكراً."

تكلم بصوت خفيض. وراح قلب "فلورا" ينبض بسرعة، وعندما

القريب "آلان" نحوها. شبكت يديها وحاولت جاهدة أن تضبط ارتعاش جسمها. جلس على طرف السرير، قريباً منها وقال:

«قيل لي إنك لم تكوني في حالة جيدة في الأسابيع الماضية. كان يجب إعلامي بالأمر قبل الآن».

وقطّب حاجبيه وأضاف:

«واليوم بعد الظهر طلبت من الطبيب أن يجري لك فحوصات شاملة».

تلعثمت "فلورا" وقالت:

«هل جاء الطبيب؟»

هزّ رأسه:

«أنا الذي جئت به الى هنا. عندما اتصلت بي امي هاتفياً لتعلمني انك مريضة، وعندما وصلنا الى هنا، كنت نائمة. فتمكن من إجراء الفحوصات اللازمة من دون ايقاظك. قرر أنك في حاجة الى نظام غذائي خفيف ولمدة اسبوع عليك ألا تعرضي نفسك الى أشعة الشمس وخاصة عند الظهيرة، أي في الساعات الأكثر حراً. يمكنك أن تنهضي من سريرك ساعة تشائين، لكن عليك ألا تقومي بأي جهد متعب».

ارتسمت على شفتيه ابتسامة لم تكن تنتظرها وقال وهو يرفع حاجبيه:

«الكلاب المصابون بمرض الكلب، والانكليز هم الذين يخرجون في هذا الحرّ من دون قبعات على رؤوسهم. حتى الطليان المعتادين على هذا الحر لا يعرّضون أجسامهم الى شمس الظهيرة. اما أنت فقد فعلت العكس. كيف ستدافعين عن جنونك وكبريائك واستقلاليتك البريطانية؟ هل تعديني بأن تكوني أكثر حذراً وتعقلاً في المستقبل؟»

كان جواب "فلورا" بالنسبة اليه ذا أهمية كبيرة. ويبدو أنه قرر

إبقاء مكانه حتى يتأكد من أنها ستفعل ما طلبه منها.

«نعم إني أعدك».

وللحظة عمّ الغرفة صمت عميق، ولم يقم "آلان" بأية مبادرة ليكسره. وكانت "فلورا" تعي أكثر فأكثر هذا الجسد النحيف والقوي، القريب جداً منها. تركت يديها ترتاحان على غطاء السرير الحريري، وحركة أصابعها المتوترة جعلت يداها تلتصقان بيدي "آلان". وأرادت إبعادها لكن أحست بقبضة يده تشد عليها. فارتعبت من التحول الذي اجتاحها. إنها المرة الأولى التي يتم فيها تقارب حقيقي منهما، منذ ليلة عرسهما، عندما أثار الغضب والاحتقار الشغف عند "آلان" الذي فقد كل مراقبة على تصرفاته. لكن، هذه المرة لم يلعب الغضب أي دور. وفي هذه اللحظة القصيرة، شعرت "فلورا" أن في داخل "آلان" عاطفة عميقة، عاطفة يخفيها بتصرفاته وحبه للسيطرة.

فجأة لم تعد قادرة على احتمال وجوده القريب منها مدة أكثر. إن اتصال أصابعهما قلب جميع أنحاء جسمها وأسرع نبضات قلبها الى درجة أنها شعرت بالدم ينبض في أذنيها. حاولت مرة أخرى أن تسحب يدها، لكنه شد على قبضتها مرة أخرى.

قالت في نبرة توسلية:

«إني... إني اشعر بتحسن كبير، ويمكنني النهوض حالاً. ربما حان وقت الاستعداد للعشاء».

أجابها بهدوء:

«لا داعي للعجلة. مضى زمن طويل لم نتبادل فيه الحديث. فلماذا لا نستفيد من هذه الفرصة الذهبية الآن؟»

لفتت وجهها وهي تتذكر المحادثة الأخيرة معه ومحاولات الاسترخاء.

ملاكي على رأسها سوّت رموش عينيها، ووضعت على شفتيها حمرة باهتة.

سمعت صوت الفضة الرنان وهي ترفع الفستان لترتديه وأقفلت السحابة. مع كل خطوة تخطوها كان حفيف الفستان يزداد، مما جعلها تتخيل أن ثمة شبح غاضب يائس يلحق بها باستمرار. عندما كانت ما تزال في انكلترا قال لها الآن أنه يحبها أن ترتدي الثياب المصنوعة من قماش الفضة، وهكذا يمكنه على الأقل أن يسمعها عندما تتحرك. وليس غريباً أنه اختار معظم ثياب السهرة من القماش الفضة.

نظرت فلورا في المرآة وعضت لأنانيتها. عضت على شفتيها وقطبت حاجبيها ما زال الارتباك حول فمها. عليها أن تخفف الكآبة السوداء في أعماق عينيها ستثير استغراب الناس الذين ينتظرون التعرف الى عروس متألقة مبتهجة.

سمعت طرقاً على الباب، وتقلصت من دون وعي. كانت رقة تعلمها أن ازاحت من دربه الآن هذا، ربما تعثر به الترب الآن، ثم توقف وأحنى رأسه جانباً فهمت أنه سمع حفيف ثوبها.

قال وهو يلتفت يميناً ويساراً:

«فلورا؟»

انتظر ريثما تؤكد له مكان وجودها فقالت:

«أنا هنا»

كانت تتأمله برصانة وتتعجب من ضبط نفسه الذي يساعده على السيطرة على الغضب الذي ما زال في أعماقه. وبعد تردد قصير، قدم لها ما كان يمسك في يديه وأمرها:

«آمل منك أن تضعي هذا العطر في المساء. إنه اختراعي الأخير، هو الذي

جعلني منهمكاً منذ وصولي. آمل أن يعجبك».

لوحت فلورا وتناولت الزجاجة الصغيرة التي تضم العطر الذي كانت سولانج تحلم به. ماذا تقدمه لها هي؟ ووجدت جواباً على سؤالها عندما أضاف يقول في لهجة باردة:

«لأن معظم المدعوين الليلة هم أصدقاؤه وفي الوقت نفسه منافسون ولا شك أن الجميع سمعوا بالعطر الجديد، وتذكرت أنها الشخصية الوحيدة التي تقدم لها الجديد وزوجتي التي هي الكونتيسة الجديدة».

أجابت فلورا:

«أنني أفهم تماماً».

وبطريقة آلية أبعدت عنها الأمل المؤقت الذي راودها. لا، لم يخترع عطراً ليقدم الجديد على الكونت ترغيل أن يحافظ على مركزه، وأن يحترم الشرف العائلي. وبعد أن تنتهي المجاملات واللياقة، يعود العطر الى صاحبته الشرعية أي الى سولانج!

انتفضت بعنف عندما اقترب منها وقال:

«سأضع العطر بنفسي».

كان صوته بارداً كأن الحنان الذي عبّر عنه منذ ساعة تقريباً كان حلماً وليس حقيقة. كانت ترغب في الرفض، لكنه أخذ منها الزجاجة وفتحها وراح يضع من العطر على معصميها ويقول:

«من هنا يجب البدء بوضع العطر ثم في تجويف الذراع...»

كانت تشعر كأن أصابعه تحرق جلدها

«وبعد ذلك، العنق...»

نبض شريان عنقها بسرعة جنونية، بتأثير الانفعال وكانت تجهد بيأس لتتوقف عن الارتجاف.

«ضاف يقول بصوت أخف وطأة:

«شمة هنا رائحة أخرى على الشفة العليا، وتنتهي».

تركها ورجع خطوة إلى الوراء، هادئ الأعصاب. كانت فلوريا تشعر وكأنها فوق سحابة من العطر الساحر.

سألها بتهذيب كما لو أن جوابها ليس له أهمية كبيرة:

«هل يعجبك؟»

«نعم، كثيراً».

استدارت حول نفسها فامتدت التموجات العطرة حولها.

«أشعر وكأنني في قريتي من جديد، في الحديقة، بعد المطر، عندما يكون الهواء منعشاً وكل شيء ذا رائحة طيبة، نعم، إنه هذا حقاً».

ومن دون الالتفات إلى شكرها، قال:

«لا تضعي أبداً عطراً خلف الأذن أو على الرقبة، فالرائحة تختفي وراءك. وعندما يستعمل العطر كما يجب، يمكن أن يحدث . ليس هناك طريقة للتعبير أكثر براعة أو دقة من تعبير العطر يمكنه أن يعبّر عن روح المرأة، ومن طبيعتها انه ملجأ لكل امرأة تتمنى أن تبدو أكثر جاذبية وأكثر أناقة».

كانت ترتشف بنظراتها من غير أن تلهي. إذا كان العطر شخصياً إلى هذا الحد بنظره، كيف يعقل أن تضعه امرأة غير التي صنعته خصيصاً لها، وبخاصة إذا كانت تختلف عنها اختلافاً كبيراً؟ شعرت لحظة أنها لا يمكنها أن تتحمل هذا. إن انفعالاتها المعقدة وضعف جسدها، ينذرانها بانهيار عصبي بالغ الأهمية. لو كان أمامها الوقت الكافي، لركضت مسرعة إلى الحمام وغسلت كل جسمها من العطر الذي صنع خصيصاً لغيرها. شعرت بالإحساس نفسه الذي تشعر به لو أنها اضطرت إلى

ارتداء ثياب امرأة أخرى. راودت هذه الفكرة، صوتها عبّر بوضوح عن هذا الاشمئزاز عندما أجابت:

«من يستعمله، يعتقد أنك تتكلم عن «كسير المحبة» المخصص لإيقاع الرجل في المصيدة. وما تقوله يدل على وجود علاقة أساسية بين العطر والشخصية. وإذا كان ما تقوله صحيحاً يا ألان، عليك إذاً أن تعيد معلوماتك النفسية. بالنسبة إلي، فأنا لست مستعدة أن أحمل عطراً هدفه إيقاظ بعض الانفعالات لدى الرجل، وسأكون شاكرة لك إذا أعطيت ما تبقى من هذا العطر للمرأة التي صنعته من أجلها. أما بالنسبة إلي، فلن أستعمله أبداً».

قطب حاجبيه السوداوين ورفع نفسه باعتزاز وأجابها في كبرياء:

«كما تريدين. كوني حاضرة خلال خمس دقائق لاستقبال الزوار».

عندما غادر ألان الغرفة، ظلت فلوريا لحظة مترددة. ساعدتها حواسها العنيفة في التغلب على ترددها. ترك ألان زجاجة العطر على الطاولة. التقطتها بسرعة وخرجت إلى الممشى. كانت غرفة سولانج قريبة من غرفتها. ولما وصلت أمام الباب، دخلت من دون أن تطرقه، قبل أن تخونها شجاعتها. كانت قد قررت أن يعود العطر إلى صاحبته. صحيح أنه سيتوجب عليها أن تقوم دوراً في هذه المسرحية الهزلية التي فرضت عليها، لكن يجب إقناع سولانج، أن هذه المسرحية ستنتهي هذه الليلة.

كانت الغرفة فارغة. لا شك أن سولانج غادرتها لتوها. أغراضها مبعثرة في كل مكان من الغرفة، ولم يتسن للخادمة أن ترتبها وفي الستراز والرف. راحت فلوريا توزع نظراتها فوق الملابس الملقاة أرضاً، حتى وصلت إلى منضدة الزينة حيث مخارم الورق ومناديل

القطن، وملابس الشعر، تلفت انتباه سولانج. وبنشاط أزاحت الأغراض ووضعت الزجاجة، وبعدها خرجت بسرعة من الغرفة وتركت تلمس بالآن والكونتيسة.

بدأ وصول المدعوين في الوقت الذي وصلت فلورا قرب الآن. وخلال الساعة التالية كانت فلورا منهمكة في حفظ أسماء ووجوه الناس الذين يمرون أمامها. النساء الأنيقات، والرجال المتميزون، الجميع يعبرون عن سرور طبيعي ومن لطف عفوي أمام خجل فلورا المنظر الرجال، خاصة لم يتوانوا عن إظهار إعجابهم بها. وشيئاً فشيئاً غابت عن ملامح آلان البرودة واللامبالاة، وعندما جلس الجميع الى مائدة الطعام، كان تصرف آلان حيال زوجته طبيعياً. هي تعرف جيداً أن اهتمامه بها ليس إلا خداع أصحابه، ورغم ذلك، كانت فلورا شديدة السعادة، اذ شعت البهجة في وجهها وبرقت عيناها وارتسمت على شفتيها ابتسامة ناعمة.

ولخيبة أمل سولانج كانت تجلس بعيدة جداً عن آلان بحيث بات صعباً عليها التحدث اليه. لكنها كانت تكتفي بإلقاء نظرات كره نحو فلورا. أما لويس فكان يجلس مواجهاً لفلورا. لكن، بعد العشاء، عندما بدأ المدعوون ينتقلون ويجلسون جماعات جماعات في غرفة الاستقبال، تمكنت فلورا من الاسراع نحو آلان.

كان يثرثر مع بعض رجال الأعمال الذين راحوا يمدحون العطر الجديد. وفلورا تتسلى بمراقبة هؤلاء الأشخاص الفضوليين وكادت تغرق في الضحك عندما أخذ السيد فوتوري، وهو أحد المنافسين لزوجها، يد فلورا وراح يشم العطر.

آه...

وراح يفكر ملياً ثم قال:

إنها خلاصة غالية ومنعشة وناعمة

وفي تخت أنفاسه:

الزعرور، زهر البرتقال، حامض، فوفل، ليمون أفندي، وربما أيضاً...

وأمام هذا الثناء، بدا السيد فوتوري وكأنه يتعرض لنوبة قلبية. وراح السيد دي اسارت، وهو مدعو آخر، يشرح لفلورا التي كانت مستغربة:

السيد فوتوري يتخوف أنه قد يخسر يا كونتيسة. يرفض الاعتراف بعجزه أمام تقدير المحتويات التي استعملها زوجك لعطره الجديد. إن على الاختصاصي أن يكون قادراً على تحديد كل الفوارق الدقيقة لخلاصة الزهر، ومعرفة ما إذا كانت طبيعية أو اصطناعية. لكن الخليط الذي يرتديه آلان لا يمكن تفتيته لأنه بالغ التعقيد.

وارتاحت فلورا لمعرفتها أن آلان ما زال يحافظ على مهارته التي أعطته شهرة واسعة. كانت على وشك أن تشكر السيد دي اسارت عندما تدخل صوت سولانج في الحديث:

هل وجدت اسماً لهذا العطر يا آلان؟

كان السؤال محرجاً لكن آلان لم يكن منزعجاً أبداً. فأجابها بنعم، سأدعوه: زهرة الحب.

وفي غمرة النهاية، كانت فلورا وحدها التي لاحظت الغيظ الذي ارتسم على وجه سولانج. هي أيضاً فوجئت بما قاله زوجها ولم تستطع منع نفسها من التحديق بالفتاة لأنها أن آلان ليس في نيته أن يجرح شعورها. إن العطر ملك سولانج فقد اخترعته هي وليس الاسم

التي اختارت «الآن» سوى نجاح اصدقائه. كانت «فلورا» متأكدة
من هذا لدرجة أنها انتفضت عندما سمعت «دي أسارت» يقول من
جديد:
«آه، زهرة الحب! اسم يليق بصاحبته، يا صديقي. إن اختراعك الأخير
يرمز تماماً الى جمال زوجتك وشخصيتها ويستحق أن يدعى باسمها».
انتفض قلب «فلورا» وسمعت السيد «دوفيرو» يعترض قائلاً:
«نعم، هذا صحيح لم تفقد شيئاً من موهبتك، يا «الآن».
ثم انحنى امام «فلورا» وأضاف:
«لا يمكن لأحد أن يشك في أن الكونتيسة زوجتك هي التي أوحت لك
به... زهرة الحب! ان هذا الأريج الدقيق يعبر تماماً عن شخصيتها».
كان عليها ان تسأل مهما كلف الأمر، فذلك بصوت مبحوح
«اني اشكركم جميعاً على مديحكم هذا. لكن هل العطر الجديد لا يصلح
أيضاً لبقية النساء... لـ«سولانج» مثلاً؟»
واجهها الشعرون باحتجاجات جماعية مما جعل «فلورا» تتراجع عن
موقفها. لا شك أنها أثارت تهم نبات «الآن» وخطرع «دي أسارت»
لأن يقدم لها البرهان وراح يشرح لـ«فلورا» التي كانت تسمعه وهي في
اضطراب متصاعد:
«أنت على حق يا كونتيسة. إن بعض النساء اللواتي يتمتعن بجمالك
وشخصيتك، يمكنهن استعمال هذا العطر. لكن «سولانج» أبداً. ان نوع
جمالها يتطلب عطراً شرقياً، مثلاً مزيج من الياسمين والزنبق التي
تستعمله الليلة».
لم تتجرأ «فلورا» على التطلع بـ«الآن». انها مقتنعة تماماً أن ملامحه
تعبر عن شعور سيء. لا شك أنها جرحت شعوره برفضها العطر! حتى

ولو أن ذلك يعني بالنسبة إليه دفعة من الدين التي يعتبره واجباً عليه
تجاهها. فهو يستحق أن يرى استقبالاً أكثر لياقة لتكريمه هذا. وهي
أعطت عطره الى امرأة أخرى! شعرت بالندم وراحت تبحث عن طريقة
تكفر عن خطأها. وبلحظة البرق، استعادت الى ذاكرتها غرفة
«سولانج». لا شك أن العطر لا زال مكانه! وللحال التفتت نحو
«سولانج»، التي كانت تهز كتفيها في استخفاف وتحول نظرها عن هؤلاء
الرجال الذين لا يقدمون لها الاهتمام المطلوب.
اعتذرت «فلورا» وابتعدت عن هذه المجموعة الصغيرة ولم ينتبه
أحد لغيابها بسبب انصرافهم الى تبادل الأحاديث. توجهت نحو الباب
وهي تبتسم وتهز رأسها لمن يحييها. لكنها لم تدع أحداً يوقفها أو
يلهيها. كانت يدها على مسكة الباب عندما سمعت صوت «لويس»
يقول وهو يقترب:
«الى أين ذاهبة في هذه العجلة؟»
التفتت واحمرت وجنتاها:
«نسيت شيئاً في غرفتي... منديل. وكنت ذاهبة لأحضره».
قال من دون أن يبعد عينيه عنها:
«سأرسل إحدى الخادمات لاحضاره».
أجابت في توتر:
«لا تتصرف كالأحمق. أنت تعرف جيداً يا «لويس» أني لم أتعب
الصعود الى الطابق... لأقل شيء. لا إهمال لأن أكلف أحداً بشيء يمكن أن
آتي به أنا».
قطب جبينه وانحنى لينظر اليها وجهاً لوجه، وقال ملاحظاً:
«لست أنت نفسك هذا المساء. لاحظت ذلك خلال العشاء، من دون أن

أعرف السبب. في البداية اعتقدت أن السبب هو فستانك. لكن، على ما يبدو، أن سبب تغيرك ليس مادياً. لاحظت ارتجاف شفتيك. يداك كانتا ترتجفان كلما رفعت كأسك، ومرة أو أكثر عندما كلمتك، كنت تنتفضين كأني انتشلتك من حلم. ماذا يجري يا «فلورا»؟ ما هذا التوتر الذي يجعلك تنظرين إلى العالم بعينين مليئتين حناناً وأسراراً مؤنثة»

راحت تتساءل ما إذا كان رأي الناس الموجودين من رأي «لويس». لكنها اطمأنت لأنها تعرف أن «لويس» بشكل خاص رجل ثاقب، مثل «الآن» وحتى أكثر، لأنه يرى. قامت بجهود لضبط نفسها وأطلقت ضحكة طويلة وقالت:

«إنك تتمتع بمخيلة واسعة، يا «لويس»! لماذا لا تهتم أكثر بالمدعوات الشابات وتمارس خيالك عليهن. إنني متأكدة من أنهن سيسعدن بالتحدث معك».

ومن دون أن تنتظر جواباً، كانت قد فتحت الباب وتسلقت السلم بسرعة وتوجهت نحو غرفة «سولانج».

الغرفة لا زالت كما هي، وعلى رؤوس أصابعها مشت «فلورا» نحو منضدة الزينة وأقفلت يدها على زجاجة العطر، حين سمعت صوتاً يرتفع في الغرفة المعتمة:

«هل يمكنك أن تشرحي لي ماذا تفعلين هنا؟»

التفتت «فلورا» إلى الوراء، لتصبح وجهاً لوجه، مع «سولانج» التي كانت تحدق فيها في غيظ بانتظار جواب «فلورا» التي قالت:

«أرجو أن تعذريني، لكن، نسيت شيئاً يخصني وجئت لآخذه»

«شيء يخصك! من غرفتي؟»

اقتربت «سولانج» من منضدة الزينة وشحب وجهها وهي تنظر إلى

زجاجة العطر. فسألتها بلهجة حاسمة:

«من جاء بهذه الزجاجة إلى هنا؟»

فهمت «فلورا» أنه لا مجال من المواربة فاعترفت تقول:

«جئت بها قبل العشاء. لقد أخطأت عندما اعتقدت أن «الآن» صنع هذا العطر لك. كنت أعرف أن علي أن أضع شيئاً منه الليلة، بسبب صداقاته، لكني كنت مضطرة أن أحصل على الثانية»

تنفست عميقاً وأغمضت عينيها لفترة ثم أضافت:

«لكن ما سمعته، أفهمني أني ارتكبت غلطة كبيرة. إن العطر صنع من أجلك. وأنا جئت لاستعيده»

زفرت «سولانج» بقوة، وظهر الغضب على وجهها الجميل وقالت:

«من الصعب أن أسامح «الآن». لقد جعلني أظن أن هذا العطر خاص بي، وانتظر مناسبة كهذه ليقوم بمحاولته الجهنمية»

سألتها «فلورا» وهي تتراجع أمام لهجة صوتها العدائية:

«تريدين أن تقولي أن «الآن» تصرف عمداً، من أجل أن يجرح شعورك؟»

«هل هناك شيء غير ذلك. فهمت أن لديه شيئاً سرياً عندما أراد أن يتخلى عن خدماتي والاستعانة بأخرين. لكني لم أكن أصدق أنه يريد خداعي هكذا! خلال الأسابيع الماضية، كدت أموت من الضجر في المعمل، وكيف كان جزائي؟ إهانة من «كونت» لا يرحم، ولا تستكين إهانته إلا بعد أن يفرغ كل ما في جعبته من شتائم»

استشفت «فلورا» بريق أمل، فسألت في صوت مترنح:

«هل تريدين أن تقولي أنك، خلال كل هذه الأسابيع التي أمضيتها في المعمل لم تكوني معه إلا نادراً»

ارتسمت على شفتي «سولانج» علامات الاشمئزاز وقالت:

«بالطبع، يا عزيزتي، إنها جزء من العقاب. أراد الانتقام من أخطاء خيالية! لكن لا تظني أن كل شيء انتهى بيننا لا تتوهمي. انظري الى الحقيقة بلا خوف! لماذا يعتبر هذا الانتقام ضرورياً؟ رجل لا يشعر بلذة اللذة إلا بالاستبداد. هل يقوم بكل هذا المجهود ليعذبني؟»

ابتسمت «سولانج» وتأكدت من أنها توصلت الى تحطيم عنفها واستفادت.

«الآن وأنا، متفاهمان كي نحب. إن علاقتنا من نوع الحب العاطفي. هذا شيء يختلف تماماً عن الانفعال التافه الذي تسمونه أنتم «الانكليز» الحب. وأؤكد أنه سيعود الي عندما أريد ذلك. ومهما فعلت «الكونتيسة» الأم لتذكره بواجباته تجاهك، فإن العلاقة التي تربطنا هي أقوى بكثير من روابط الزواج. وهو يعرف ذلك والكونتيسة أيضاً. والآن جاء دورك لتعرفي».

هزت «فلورا» رأسها الاقتناع في كلمات «سولانج» يجرحها ويخترقها العذاب الى درجة لم تعد تطيق أن تستمر في سماع كلماتها. كيف يمكنها تحمل هذه التصريحات وهي تعرف أنها حقيقية؟ إن طبيعة «الان» المعقدة تجعله يشعر باللذة، وهو يعذب حتى أقرب المقربين اليه. تجربتها في «انكلترا» تؤكد ذلك. لأسابيع كانت هي وحدها تتحمل نتائج مزاجه المتقلب. ألم تدرك منذ البداية أن هناك علاقة حميمة بين «سولانج» و«الان» أشد عمقاً مما كان يبدو للوهلة الأولى؟

انتصبت «فلورا» واستعدت للخروج. كانت «سولانج» تراقبها وابتسامة رقيقة ترتسم على شفتيها ولما وصلت «فلورا» الى الباب سألتها «سولانج» في سخرية:

«وعطرك؟ أليس هذا ما جئت من أجله؟»

واستعدت «فلورا» ما تبقى لها من كرامة لترد عليها في هدوء: «أشكرك. لكنني أحب أن اقدمه إليك. فلا أنوي استعماله أبداً».

وبعد انصراف «فلورا» اختفت الابتسامة من وجه «سولانج». المدعوون بدأوا بالانصراف. فقررت «سولانج» ألا تنزل من جديد. كان نظرها على الزجاجة الصغيرة. أخذتها بيدها وتأملتها طويلاً. ثم حطمت الزجاج.

«فلورا» هي أيضاً شاهدت انصراف المدعوين، بدون أن تشترك في مراسم الوداع، وعرفت أنها ستجد أعذاراً تختلقها لغيابها. فاتجهت تواً الى غرفتها وأغلقت الباب شاعرة بارتياح وانفراج. لم تعد في حاجة الى التظاهر بأن الأمور جيدة بينها وبين «الان». فالجهد اللازم لتمثيل دور الزوجة والزوج المحبين كان صعباً ومرهقاً أكثر مما كانت تتصور.

راحت تستعد للنوم. لكن وقتاً طويلاً مر وهي في انتظار أن يتغلب عليها النعاس وتنام. لكن من دون جدوى.

حاولت ألا تفكر بالمقابلة التي جرت بينها وبين «سولانج». عادت كلمات «سولانج» تقلقها. إن طبيعتها العادلة تتمرد أمام فكرة تصديق «سولانج» كلياً من دون أن تطلب من «الان» تأكيد هذه التصريحات. إنه انسان صادق وشريف ولا يمكنه أن يقيم علاقة مع «سولانج» وهو ما زال زوجها. صحيح أنه قبل الزواج أفهمها بوضوح أنه لا يطلب منها الحب وليس عنده ما يعطيه. غير أنها كانت مقتنعة بأنه يحترمها وهو مصمم على ألا يجعلها تندم على قبولها أن تصبح زوجته. كانت تتعلق بيأس بهذه القناعات. حتى تجد الشجاعة. هل تضع «الان» أمام الأمر الواقع؟ عليه أن يؤكد كلمات «سولانج» أو ينفيها.

سمعته يمر أمام باب غرفتها متوجهاً نحو غرفته. كانت تفضل أن تذهب إليه في الحال. لكن الوقت كان متأخراً والأسئلة التي تريد طرحها عليه يمكنها أكثر في صباح الغد، حيث يمكنها، كما تأمل، أن تكون قادرة على ضبط نفسها.

وفي هذه اللحظة بالذات سمعت طرقة خفيفة على الباب الذي يفصل غرفتها بغرفة الحمام المشتركة بينها وبين آلان. انتفضت، لكنها ظلت جامدة، عيناها على مصراع الباب. لم تسمع شيئاً فاسترخت، لا شك أن الطرقة ليست سوى من صنع مخيلتها المشوّشة. لكنها كانت قلقة في الوقت نفسه. نهضت من فراشها واقتربت من الباب. وبعد تردد، فتحت الباب ودخلت.

في الجهة الثانية من غرفة الحمام، شعاع نور خفيف يبدو من فتحة باب غرفة آلان. ومن فتحة الباب الضيقة، اكتشفت ما يدور داخل الغرفة. سولانج، الراكعة في مئزرها الأبيض، تقترب من آلان وتبقى لحظة بقربه من دون كلمة ثم تمد ذراعيها حول عنقه في حركة عفوية. في البداية بدا آلان وكأنه فوجئ،، كأنه لم ينتظر حدوث هذه الزيارة. لكن وجهه تغيّر فجأة تحت تأثير الفرح الكبير. وفهمت فلورا أنها أمام عاشق ولهان.

وعندما وضع آلان ذراعيه حول سولانج، لم تعد فلورا قادرة على تحمل أكثر من ذلك. فتراجعت الى الوراء. لكنها سمعت صوت آلان يهمس في انفعال قوي:

«آه يا حبيبتي، لو تعرفين كم كنت مشتاقاً أن أضمك بين ذراعي من جديد»

دخلت فلورا الى غرفتها في خطى مترنحة وألقت بنفسها على السرير. عيناها المريضتان بقيتا تتأملان السقف فوق رأسها، كأنها تبحث عن حل المشكلة. أصبحت فجأة متعذرة الحل.

١٠ ـ سلسلة مفاجآت

لم تكن الساعة قد تجاوزت الرابعة صباحاً عندما غادرت فلورا القصر. نزلت الى الطابق الأرضي من دون احداث أي حركة وبيدها متعلقة بمسكة حقيبتها التي تحتوي فقط على الأغراض التي جلبتها معها من انكلترا. ورغم الوقت المبكر كان القصر حافلاً بضجة غير منتظرة.

انفتحت الأبواب الضخمة من دون صعوبة بين أصابعها وما أن أصبحت في الخارج حتى وضعت قدميها على الحشيش الأخضر وبدأت تركض على طول المسالك. خففت من سرعتها لحظة عندما رأت أمامها الشبابيك الحديدية العالية، فعرفت حينئذ أنه لم يعد ثمة مجال لأن يراها أحد من سكان القصر.

كان الطريق خالياً ولم يكن لديها فكرة معينة حول الاتجاه الذي تنوي اتخاذه. كل ما تعرفه أن عليها الوصول الى مطار نيس حيث تستقل الطائرة التي تأخذها الى انكلترا... الى بلدها الى عائلتها.

اختارت أن تدير ظهرها لمدينة غراس، لأن القرية واقعة في داخل الأراضي، والقصر يقع بينها وبين الساحل. وهكذا تكون قد أخذت الاتجاه الصحيح.

وبعد أن مشت في الطريق المحاطة بالأشجار مدة طويلة قاطعة مسافة واسعة من دون أن ترى أية اشارة الى أي طريق، ولا أي انسان. قررت أن تخفف من سرعتها. لم تفكر أن تأخذ معها شيئاً للأكل. والآن بعد أن [illegible] وسارت طويلاً شعرت بجوع شديد.

وعندما جلست لترتاح سمعت صوت محرك ضخم. فعمدت الى الاختباء. لكنها سرعان ما أدركت أن لا أحد في القصر يستعمل سيارة بطيئة للبحث عنها وانتظرت حتى ظهرت العربة التي كانت جرارة عربة تحمل سلالاً من الزهر المقطف. وسألت فلورا:

ـ هل أنت ذاهب في طريق المطار؟

وهز السائق رأسه وقال:

ـ نعم يا آنسة.

كانت ترغب أن تقبل وجه السائق الشاب عندما ساعدها على الصعود والجلوس بقربه. إن الأحاديث العديدة التي بادلتها مع الطبّاخ جعلتها تتأقلم مع لهجة المنطقة المحكية. وفهمت كلام الشاب مسرورة عندما أخبرها أنه متوجه الى سوق الزهور في نيس. كان يبدو سعيداً برفقتها رغم صوت المحرك الذي جعل أي حديث صعب المنال. وعندما أخرج من جيبه رزمة تحمل خبزاً وجبنة وقدم لها بعضها ابتلعتها بفرح لا يصدق.

راحت تأكل بشهية الخبز الطازج الذي ما زال ساخناً والجبنة

وتأمل الشاطئ، يقترب. وللمرة الأولى منذ أن اكتشفت خيانة «آلان» شعرت بسلام داخلي. قريباً ستصل الى بلدها، الى أهلها الذين يحبونها والى أصدقائها الذين يشتاقون إليها. وتساءلت «فلوريا» عما إذا كانت الكونتيسة الأم ستندم على رحيلها. وفي الهواجس التي دفعتها الى الهرب لم يتسن لها كتابة كلمة واحدة. لكنها وعدت نفسها أنها حين تصل الى بلدها ستبعث برسالة للمرأة المسنة وتشرح لها سبب تصرفها هذا مع مراعاة شعورها.

دخلت العربة الى «نيس». الشوارع العريضة والجادات كلها فارغة. فقط بائع أو أكثر بدأوا بفرش الطاولات داخل ساحة السوق استعداداً لعرض الزهور. نزلت «فلوريا» من العربة وشكرت السائق وتوجهت الى محطة التاكسي لتستقل واحداً يقلها الى المطار. بدأت تشعر أن الوقت يمر بسرعة وهي ترجو أن تكون في طريقها الى «انكلترا» قبل أن يكتشفوا غيابها.

ولمحت تاكسي يسير ببطء لالتقاط الزبائن، فأشارت اليه فتوقف وصعدت ثم قالت:

«الى المطار بسرعة من فضلك.»

كانت قد قطعت نصف الطريق عندما لاحظت أن يديها ترتجفان وقلبها يطرق بقسوة على أضلاعها.

وما أن وصلت السيارة الى المطار حتى دفعت للسائق أجرته وتوجهت مسرعة الى داخل المبنى. وشدت يدها على الحقيبة. اقتربت من أحد المكاتب وقالت للموظف المسؤول:

«تذكرة سفر واحدة على متن الرحلة الأولى الذاهبة الى «انكلترا» من فضلك.»

ابتسم لها الموظف ابتسامة مطمئنة وظن أن قلق «فلوريا» المرسوم على وجهها عائد لخوفها من ركوب الطائرة فقال:

«لا تقلقي يا آنسة. ستكونين في أمان! انتظري سماع رقم الرحلة واتجهي بعدها الى الباب المطلوب، وهناك ستساعدك المضيفة على الدخول الى الطائرة.»

وما رآها تتناول بطاقتها بسرعة كأنها تريد الهرب، أضاف:

«لديك الوقت الكافي. لن تقلع الطائرة إلا بعد ساعتين.»

ساعتان! لم تفكر أبداً أن عليها الانتظار. وفي حمى تفكيرها تصورت أنها ما ان تصل الى المطار حتى تستقل الطائرة التي ستأخذها الى «انكلترا» من غير أن يتسنى لها الوقت لاعادة التفكير في الموضوع. ساعتان! إنه وقت كاف أمام زوجها لابلاغ البوليس وتعقب إثر الطليقة.

وجلست في غرفة الانتظار متعبة وراء إناء زرع فيه شجرة نخيل كبيرة. جلست مختبئة وراء الشجرة تنظر في مواجهة المدرج. قررت ألا تترك أفكارها تتركز على «آلان» وما حدث أمس قبيل رحيلها. في البداية كان من السهل أن تتلهى برؤية ذهاب الطائرات وإيابها. لكن مع وصول الركاب، بدأت تتهيأ لرؤية شبح طويل نحيف بين الناس مما جعل قلبها ينبض بسرعة.

نظرت الى ساعة يدها عشرات المرات كأنها تريد أن تقدم عقاربها. أخيراً سمعت إعلاناً عن رقم رحلتها. فاندفعت نحو الباب المذكور. كانت تنظر أمامها وأفكارها كلها مركزة على الصف الأول الذي تريد أن تلتحق به الى درجة أنها لم تسمع أحداً يناديها باسمها. وما أن وصلت الى أول الصف حتى شعرت بيد تلتف على ذراعها وصوتاً يقول

وراح يحاول تهدئتها لكنّ الندم الذي كانت تشعر به كان شديد العمق فلم تستطع أن تتوقف عن النحيب وسماع كلمات لويس الذي كان يقول وهو يربت:

«ليس ما حدث بسببك، هل تسمعين؟ إن الكونتيسة مسنّة... ربما يكون رحيلك هو الذي سبّب الأزمة لكن كان من المنتظر أن تحدث في أي وقت. يجب أن تصدقيني يا فلورا».

لكنها ظلت جامدة. فقرر لويس أن يشغلها عن هذا التوتر ويطلب مساعدتها:

«ليس لي الحق أن أطرح عليك الأسئلة يا فلورا لكن يبدو واضحاً أن الوضع بينك وبين ألان أصبح متأزماً وخطراً أكثر مما كنت أتصوّر. وسأطلب منك خدمة. هل توافقين على البقاء في القصر؟ أمي بحاجة الى امرأة تحبها وتفهمها. الخدم كلهم يحبونها لكن ما من أحد يمكنه أن يحلّ مكانك عاطفتها، و... يا فلورا...»

رفعت فلورا رأسها وبدأ خداها بالاحمرار وأضاف لويس:

«أعتقد أن بإمكاني أن أطلب منك هذه الخدمة من أجل الكونتيسة ومن أجل ألان. ولا يمكنك بالطبع بعد قرارك أن تعتقدي بأن عنفوان ألان وكبرياءه وعجرفته ستسمح له بأن يطلب منك ذلك».

وفجأة عاد الشحوب الى وجه فلورا:

«لا شك أنه يكرهني لما سبّبت من ألم لوالدته. ولن يحتاج الى مساعدتي في وجود سولانج».

«لقد غادرت صباح اليوم آخذة كل امتعتها».

«هل عرف ألان بذلك؟»

«هو الذي أخبرني بذلك. يبدو أنه طلب منها الرحيل البارحة و...

الصباح رغم ما حدث للكونتيسة لم تفكر سولانج لحظة بتغيير مخططاتها... لقد ذهبت الى غير رجعة».

وبعد الظهر، كان لويس يأمل في أعماق قلبه أن تغيّر فلورا موقفها وتبقى، وهي تفكر بأن المرأة التي تحبها كادت تموت بسببها.

سأله لويس القلق:

«هكذا قررت. لا مجال أمامي للتأثير عليك. لكن إذا كنت تعتقدين بعدم قدرتك على البقاء فالأفضل لأمي أن تذهبي منذ الآن من دون أن تراك. وستقولين إذا كان هذا قرارك، سأصحبك وأعيدك فوراً الى المطار».

كان يتكلم كأن أمام فلورا حرية الاختيار وتعرف جيداً أنها غير قادرة على ترك الكونتيسة وهي في حاجة إليها. لكن يجب في الوقت نفسه أن تواجه ألان... قالت بجهد كبير الهمس:

«هيا بنا نسرع يا لويس. يجب أن أبقى بكل تأكيد».

ولما وصلا الى القصر صعدت فلورا على الفور الى غرفة الكونتيسة. كان الطبيب قد غادر القصر تاركاً المرأة العجوز بين يدي ممرضة القصر. وتقدمت فلورا منها على مهل بدون إحداث أي صوت. كانت الكونتيسة نائمة.

رفعت الممرضة يدها طالبة من فلورا ألا تتكلم لكن فرقعة مريولها النشى أحدثت دوياً مما جعل المرأة تتحرك في سريرها وهي تتأوه ثم فتحت عينيها في الوقت الذي أخفت فلورا وجهها القلق. عرفت عينا الكونتيسة وأرادت أن تتكلم لكن الجهد الذي كانت تبذله كان هائلاً وبعد لحظة غابت عن وعيها من جديد وعلى زاوية فمها ابتسامة صغيرة علامة الرضى والامتنان.

أشارت الممرضة الى فلورا بالخروج ثم لحقت بها.

«لقد عرفتك يا سيدة وهي هادئة البال الآن. لن تستيقظ إلا بعد أن
ينتهي تأثير الدواء المسكن. ويجب عليك أنت أن ترتاحي لساعة أو
ساعتين. تبدين في حاجة للراحة.»

شكرتها فلورا وأكدت لها أنها ستتبع نصيحتها. لكن ما أن
دخلت إلى غرفتها حتى تأكدت من عدم قدرتها على النوم. غسلت
وجهها جيداً لتبعد عن عينيها آثار الدموع ووضعت فستاناً مريحاً ثم
نزلت تبحث عن ألان.

وجدته وحيداً في غرفة المكتبة. يجلس في أريكة واسعة من الجلد
قرب النافذة. وأشعة الشمس تلمع على رأسه الأسمر مثل شعلة الربيع
الغضبة. دخلت فلورا من الباب المفتوح بهدوء وجثت على
يدي ألان. انتفضت فانقبض قلبها.

«ألان».

لم يكن صوتها سوى همس خافت لكنها لاحظت أنه سمعها
فتقلص جسده وبعدت يداه. اقتربت منه وهي ترتجف وقالت:

«ألان. إني آسفة.»

فنهض وقال:

«هل شاهدت الوالدة؟»

أجابت في صوت خافت:

«نعم. لقد عرفتني... وابتسمت لي...»

لم تتمكن من مواصلة الكلام. واسترخى فم ألان. قام بحركة
مترددة وكادت تصطدم قدمه بكرسي و يفقد توازنه.

اقتربت منه لكنه كان قد انتصب بجوار العمود على ظهر أريكة.
شعرت فلورا بالاضطراب لأنها تراه للمرة الأولى مسلوخاً وعاجزاً من

نفسه التي كانت ترمز لها استقلاليته الكاملة تجاه محيطه وبيئته.

لم يحن لها الوقت أن تسأله عن هذا التغير الذي أصابه وفي نبرة
مرتجفة سألها:

«هل تتحدثان بالطبيب، يا فلورا؟ أرجوك! أعتقد أن الوقت حان
لنتحدث عن مستقبلنا.»

شعرت بتأثر عميق وهي تراه يمرر أصابعه في شعره في حركة
متعبة عديم الشجاعة. يائسة كأنه يعترف أن كل معاركه انتهت إلى
الآن. وعرفت حينئذ أنه يفهم جيداً أنها نادمة على ما فعلته. كلمات
عديدة تعصف في قلبها لكن شفتيها المرتجفتين لم تنطقا إلا بالكلمات
التالية:

«إني آسفة يا ألان. آسفة جداً...»

اصفر وجهه وحنى فمه وقال:

«إني آسف أنا كذلك يا فلورا. آسف لأني أتهمتك بالقبول بزواج
لم يجلب لك إلا الشر. لقد ارتكبت غلطة كبيرة. ولو أن الزمن يرجع إلى
الوراء لأعفيتك من عذابات أخرى...»

شعرت فلورا بألم شديد يخترق كيانها. لا داعي لمتابعة أقواله
والتعبير بدقة عن الرغبة التي يشعر بها تجاه [illegible] فلم تنس
فلورا مدى حبه لتلك المرأة. إذا كانت شاهدة حية على ذلك. فيجب
عليها أن تمنعه من أن يقول أكثر.

«لا داعي للقلق يا ألان. سأبقى حتى تستعيد والدتك صحتها
لكن بعد ذلك...»

«شكراً. هذه شهامة منك. ما دامت الظروف تريد ذلك. إني أعرف كم

بعض هنا وجودك هنا. لن أحاول إقناعك في البقاء. لكن...»

بدا وكأنه يختار كل كلمة يلفظها ثم تابع بصوت متحرج وبارد:

«هل تعتقدين أن إمكانية لقائنا هنا من جديد تبدو أكثر سهولة عليك إذا قلت لك أن في نيتي التغيب بعض الوقت؟»

قالت في كبرياء:

«ربما.»

تنحنح وأدار ظهره وابتعد ثم قال في عنف مفاجئ:

«هل وصلت لامبالاتك إلى حد ألا تسألي إلى أين أذهب؟»

تكفي كلمة واحدة لترد عليه. ومن دون تردد أجابته:

«لا.»

وهرعت خارجة من الغرفة. فلماذا تسأله إلى أين سيذهب. إنه سيرتاح في باريس...

١١ ـ كأنه اللقاء الأول

كانت فلورا تجر الكرسي النقال التابع للكونتيسة على طول الممر الذي يتعرج في حديقة القصر. الطقس خريفي، في أحد أيام شهر أكتوبر ـ تشرين الأول. وكان قد مضى شهران على حادث الكونتيسة ورحيل. الآن الشمس تسطع على الأزهار. العطر وحده تغير. فقد حل محل الورد والليمون أريج أكثر حدة من أريج الجيرانيوم والنعناع البري.

أوقفت فلورا الكرسي في ظل أشجار السرو العالية، ثم جلست في مقعد قبالة الكونتيسة.

«هل أنت مرتاحة يا أمي؟ هل تريدين وسادة تحت رأسك؟»

قالت المرأة العجوز وهي تبتسم بلطف:

«لا تقلقي علي بعد الآن. الطبيب بنفسه أكد لك أنني شفيت تماماً. وأنت تعاملينني كأني ما زلت ضعيفة إلى درجة الذوبان تحت أشعة الشمس.»

استرخت فلورا مرتاحة لكلام الكونتيسة. صحيح أن صحتها

ضعيفة وتتعب بسرعة. لكن اهتمامها كان منصباً. لأسابيع طويلة ظلت «فلورا» تسهر عليها، لا تتركها لا في الليل ولا في النهار. الى أن نصحها الأطباء بالاخلاد الى الراحة، وحتى في راحتها كانت تقصد الراهبة باستمرار، الى أن تأكدت بنفسها من التحسن الملموس في صحتها. وقتئذ انتابها الشعور بالذنب.

غياب «ألان» كان وراءه بالنسبة إليها أكثر من علامة استفهام. ولا مرة، سألت الكونتيسة «فلورا» عن السبب الذي من اجله غادرت القصر، كأنها تريد أن تزيل هذا الحادث من ذاكرتها، والتصرف كأنه لم يحدث أبداً. و«فلورا» هي أيضاً كانت تفضل هذا الحل، فهي تعرف أن المرأة العجوز ليست في وضع صحي يمكنها معه أن تتحمل هذا الموضوع المؤلم. ولا بد أن يأتي يوم تستطيعان أن تتحدثا فيه عن الموضوع، عاجلاً أم آجلاً، لأن «ألان» سيعترف بحبه «لسرلانج».

سألتها المرأة العجوز فجأة وهي ترمقها بنظرة ثاقبة:

«هل عرفت أن «ألان» تحدث معي مساء أمس بالهاتف؟»

انتفضت «فلورا» ووضعت يدها على وجهها لتخفي احمرار الخجل. كانت تعرف أن «ألان» يتصل بوالدته هاتفياً باستمرار. لكن، ولا مرة طلب التحدث الى زوجته. وهي أبت عليها كرامتها أن تسأل عن أخباره.

أجابت في صوت خافت:

«كلا. لم أكن أعرف. كيف حاله؟»

«كان يبدو في مزاج رائع. كان صوته واضحاً ورائقاً ومليئاً بالنشاط حتى أنه بدا لي أنه عاد كما كان قبل أن يفقد بصره».

مسحت دمعة قبل أن تكمل حديثها في لهجة أكثر حدة:

ورفض أن يحدثني عن أحواله. حاولت معرفة موعد عودته الى القصر، لكنه اكتفى بالقول: «أفضل أن أفاجئك وعندما أعود سأطلعك على كل شيء».

أضافت وهي مقطبة الحاجبين:

«إنه يزعجني بأسراره. فلماذا يرفض حتى أن يقول لي أين هو؟ ما هو السبب الذي من أجله يريد ألا أعرف أي شيء عنه؟»

لم ترد «فلورا». كانت تتعذب لأنها تعرف أنه في «باريس» مع «سرلانج»، وربما معها. خلال الأسابيع التي مضت، كانت تستيقظ في الليل وتتصوره واضعاً ذراعيه حولها هامساً بصوته الحزين. فتشعر بالسعادة الكبرى لرؤية تعيسة. وتتساءل اذا كان هو أيضاً يتذكر تلك الليلة عندما كانت رائحة الأزهار تدخل من النافذة المفتوحة لتضفي جواً على الوقت الثمين الذي أمضته. هل هذه الذكريات هي التي جعلته يطلق على عطره الجديد اسم «زهرة الحب»؟

لكن كلمات الكونتيسة كانت بمثابة استهزاء بها، لأن أحلامها لم تكن سوى وهم وخرافة. إنه يبدو لها في مزاج مرتفع ومليء بالثقة والنشاط. واذا كان سبب هذا التغير في شخصيته عائداً الى «سرلانج» بالذات، فهي ولا شك تستحق كل تهنئة. حتى الكونتيسة نفسها التي لا تشعر تجاه «سرلانج» بأي انفعال إيجابي، لن تجد مانعاً من زواجها من «ألان»، وخاصة عندما يفهمها ابنها أن سعادته متعلقة بوجود «سرلانج» بقربه.

لم يعد باستطاعتها أن تتحمل أكثر. انتفضت بعصبية وكتمت شعورها حتى لا تزعج المرأة العجوز وقالت:

«أنا متأكدة من أن «ألان» لن يجعلك تنتظرين إجابته مطولاً، يا أمي».

بك أو بأمي. فكيف تدافعين عنه؟»

سألته فلورا في بساطة:

«هل يجب أن أكرهه بحجة أنه غير قادر أن يبادلني الحب؟»

أجاب وأسنانه مشدودة:

«هذا ما تفعله أغلبية النساء اللواتي أعرفهن.»

«إذاً، فلا أستغرب أن يكون ظنك قد خاب، يا لويس.»

«به إلي؟»

هز كتفيه في حركة تدل على انزعاجه.

«كان علي أن أفهم أنك غير قادرة على حبي، وما زال لآلان حظ أكثر مما كنت أتصوره.»

دس يديه في جيوبه ورفس حجراً وقال:

«لم يعد أمامي حل سوى مغادرة القصر...»

«لا، يا لويس، هذا مستحيل... وأمي، كيف يمكنك أن تفكر في التخلي عنها وهي في هذه الحالة الصحية المتدهورة؟ يجب أن تبقى من أجلها ومن أجل تطورات ... من سيتخذ القرارات اللازمة في غيابك وفي غياب آلان؟»

«آلان؟ آلان؟ لا تفكرين إلا به؟»

إن عذاب فلورا هو الذي يحبه، وبسببها هي يحرك قلبه العنان وفهمت أن عليها أن تخبره بدقة ما يجري بينها وبين آلان. فكبتت انفعالاتها وقالت:

«أنا من سيغادر القصر قريباً. عندما يعود آلان، ستعود سأرافقه معه... إلى الأبد.»

«هذا مستحيل! هل أنت متأكدة من ذلك؟»

«نعم، إني متأكدة من ذلك كل التأكيد.»

شعرت في عينيه ببريق أمل واضطرت أن تنزع منه كل وهم:

«لكن ذلك لا يغير شيئاً في عواطفي نحوك، يا لويس.»

ابتلعت ريقها بصعوبة ثم عادت تقول في صوت هامس:

«لا يمكنني أن أحب شخصاً آخر غير آلان، أبداً...»

وضعت يدها على اليمامة الزرقاء الصغيرة التي تزينها باستمرار وفهم أنها تفكر بالكلام المنقوش الذي يختبئ من وضعها كأنها حفرت خصيصاً لها ولآلان. متحدان، لكنهما دائماً منفصلان لأن الزواج هو الذي يوحدهما لكن لا شيء يملأ الهوة التي تفصلهما. الشجاعة التي تتحلى بها فلورا أرعبت لويس، وأعانته في الوقت نفسه. وشعر بالخجل، ولأول مرة يرى نفسه كما يجب أن يبدو في عيني فلورا. واكتشفت فجأة أنه قادر على الاحساس بالخجل. وهذه التجربة بدت صعبة كي يتحملها. أخيراً قال:

«سامحيني. ولكن فقط لأنك تطلبين ذلك مني. وإذا كنت تعتقدين أن وجودي هنا ضروري، فلا أستطيع أن أرحل.»

استدار وابتعد برهة ثم استدار نحوها:

«فلورا؟»

«نعم، لويس؟»

كانت ترتجف وعلى وشك البكاء.

«إذا كنت قد جرحت شعورك، فأنا آسف جداً. هل تسامحينني؟»

وفهمت أنها طريقته ليؤكد لها أن الموضوع قد أقفل ولن يعاد فتحه بعد الآن. ابتسمت وقالت:

«إن صداقتك ستظل دائماً عزيزة على قلبي يا لويس. لا أريد أن

أشرف. لا شيء يستحق طلب الفتاة.

في المساء، عندما فتحت خزانة الثياب لاختيار ثوب لها، وقعت عيناها على فستان من الحرير الرمادي القاتم ذي قبة بيضاء تتلاءم تماماً مع مزاجها.

كان القماش الحريري يخشخش خفيفاً إزاء كل حركة تقوم بها، ويداعب كاحلي قدميها النحيفتين، من غير إحداث صوت. ثم راحت تمشط شعرها، لكنها لم تكن في حالة تسمح لها برفع شعرها في شكل كعكة، فتركته ينسدل على كتفيها.

أصوات غير عادية بدأت تصدر من الطابق الأرضي. الباب يطرق وأصوات تدوي في البهو ثم خطوات تصعد السلم... خطوات سريعة، نشيطة، تعبّر عن تلهّف شخص وصل لتوه. ولما توقفت الخطوات في الممر، أمام باب فلورا، انقبضت أعصابها وجفّ حلقها.

انفتح الباب ومع نسمة الهواء التي دخلت ارتفع فستانها الخفيف حولها، إلى درجة أنها بدت وكأنها خيالية، ساحرة. جمدت المكان وانتظرت ثم أطلقت زفرة طويلة عندما دخل آلان بقامته الطويلة إلى الغرفة بلهفة. كانت تنظر إليه يقترب نحوها. نظارتان سوداوان تحجبان عينيه، لكن من خلال الزجاجتين الرماديتين كانت عيناه تحتفلان بها في نظرة حادة. احمرّت بشدة خجلاً، ولما توقف بقربها، بدأت تسمع دقات قلبها.

لم تستطع أن تتحمل أكثر هذا الصمت الرهيب فقالت:

«آلان، لقد عدت...»

«مساء الخير يا فلورا»

كان يكلمها كأنهما يلتقيان للمرة الأولى. شعرت فلورا أنه ذاته

الصبر، غير قادر على تحمّل التشنجات إلى والدته على حق، فقد تغير. ورغم شحوب وجهه الذي يفسّر إقامته في باريس، فإنه ينضح بالحيوية والنشاط.

«هل أنت سعيدة لرؤيتي؟»

كأنه عاد ليلعب لعبة القط والفأر. لم تعد تتحمل العذاب الذي يعاقبها به. كان مليئاً بالفرح من دون شك. لكن هل من الضروري أن يعرض سعادته أمامها؟

ربما كانت سولانج تنتظره في البهو، مستعدة لمناقشة الطريقة الفضلى للتخلص من زوجة غير مرغوب فيها. وأمام هذه الفكرة، رفعت فلورا وجهها في فخر واعتزاز. إنه يجهل أنها تعرف أين كان يمضي كل هذه الأسابيع الفائتة، وحان الوقت لإعلامه بالأمر.

سألته في صوت هادئ، وبارد:

«كيف كانت رحلتك إلى باريس؟»

كانت تنتظر أن تراه يعترف بذنبه. لكن ملامح وجهه عبّرت عن ارتباك. رفع حاجبيه وردّد:

«باريس؟»

«إني أعرف أنك كنت في باريس مع سولانج. أرجوك يا آلان، لا تحاول إنكار ذلك.»

عضّت على شفتيها لتمنعهما من الارتجاف وأضافت:

«لقد قلت لي يوماً إنك لن تنتظر مني سوى الحقيقة. ألا يحق لي أن أتوقع الشيء نفسه منك؟»

ظل آلان يحدّق فيها مستغرباً محاولاً أن يستوعب ما كانت تقوله. فتراجعت أمام عينيه اللتين تبدوان وكأنهما تخترقان أعماقها. لكنه

مدّ يده وأمسكها على معصم زوجته وقال في نعومة وهو يتهيهها:

«لماذا العجلة في إبداء رأيك والظهار الناقدة يا فلورا. لم أذهب إلى باريس بعد أن سولانج ولم أتصل بها منذ اليوم الذي غادرت فيه القصر».

شعرت كأن قلبها سقط من صدرها. وقالت:

«أرجوك أن تسامحني. ربما تسرعت في إبداء رأيي. لكن هذا لا أهمية له. أليس كذلك؟ إني أعرف أنك واقع في غرام سولانج.. لقد رأيتها في غرفتك.. وسمعت ما كنت تقول لها».

انخفض صوتها المرتجف في نحيب. فسكتت وأدارت وجهها. فأخفى عنها ما كانت تريد أن تقوله.

وفي اليوم التالي قررت الهرب.

نظرت نحوه من جديد بعينيها الدامعتين. فترك معصمها وتوجه صوب النافذة وجلس على دكة النافذة العريضة. وأمرها:

«تعالي واجلسي قربي».

أرادت أن تقاوم. لكنه ردد هذه المرة في قوة:

«تعالي يا فلورا. أريدك قربي».

أطاعت على مضض. فجلست على الطرف الآخر بعيدة عنه. لكن الآن أخذها بذراعيه وشدها نحو صدره. فراحت ترتجف وسمعته يقول:

«إنك تعتقدين بأنني أحب سولانج. ما يجعلني أتمسك سراً لا يعرفه سوى سولانج وأنا».

كان يتكلم بصوت خال من أي تعبير. لكن ملامحه كانت رصينة تدل على أهمية ما سوف يقول.

«بسبب غلطة سولانج أصبحت أعمى».

ارتعدت فلورا. وكتمت صرخة كانت على وشك الإفلات. وراحت تسمعه يقول:

«كنا مخطوبين. خطبة تمت تلقائياً كما يحدث لشخصين يعرفان بعضهما منذ الطفولة. في البداية. لم أهتم كثيراً بنزواتها وتقلباتها. إنها فتاة عنيدة ومدللة. وكان والدها يلبي كل طلباتها. لكن عندما بدأت أهتم أكثر فأكثر بعلاقتنا. بدأت أكرس وقتاً أكثر للعناية بها. وبدأنا نتصادم ونتشاجر. فاقتنعت حينئذ أن علي أن أفسخ الخطبة».

شدّ يده على معصم فلورا التي كانت تصغي إليه في انتباه حتى أنها لم تشعر بألم معصمها.

أضاف زائغاً شاكياً:

«وفي اليوم الذي أعلنت لها قراري بفسخ الخطبة. كنا معاً في المختبر. أنهيت عملي وكنت أنظف الآلات والمعدات التي استخدمتها في التجارب. ربما كانت غلطتي أنا أيضاً فقد كنت مشغولاً بما سوف أفعله. ولا شك أني سكبت بعض السائل في جهاز أكثر مما يلزم. لكن هذا ليس أساس ما حصل. غضبت سولانج لما قلته. فرمتني بشيء لم أعد أذكره. فوقع في الإناء الذي كنت أمسكه وتطاير السائل إلى عيني».

سكت لحظة كأنه يعايش رعب تلك اللحظة من جديد. كانت فلورا تشعر بتشنج جسده كله. كان الخجل والرأفة يشتدان على حنجرتها مما جعلها تقول:

«آه. الآن. كيف استطعت أن.. كيف يمكن لإنسان..»

نفض جسده ليتخلص من هذه الذكريات. ووضع ذراعيه حول

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 37

قال الزهر: آه

عندما يتوه الانسان في بحار الظلمات فاقدا بصره، هل يتلمس طريق الحياة معتمدا على حواسه الأخرى؟ أم يبحث عن انسان آخر يكون له بمثابة العصا؟

الكونت الفرنسي آلان تريفيل حين تزوج فلورا الفتاة الانكليزية الرقيقة، هل منحها لقب [illegible] لتبادلها بهجة العينين للجسم؟

[illegible]

لويس ابن عم الكونت على القلاقها من الامها.

فلورا سعت في زواجها من الكونت الى اسعاده وقررت أن تكون الشمعة التي تنير طريقه. هل تستطيع الشمس محو ظلام القلب؟ وهل يكون لعطر الزهور الدور المهم في قيادة الأعمى الى الحب والخلاص؟

لبنان ٧ ل.ل	الكويت ٧٠٠ ف	اليمن ٨ ر	السودان ٨٠٠ م
سورية ٨ ل.س	الإمارات ٩ د	تونس ١ د	U.K. £ 1
الأردن ٥٠٠ ف	البحرين ٩٠٠ ف	ليبيا ٨٠٠ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ٩ ر	المغرب ٨ د	Greece Drs 125
السعودية ٨ ر	عمان ٩٠٠ ب	مصر ٨٠٠ م	Cyprus P 1